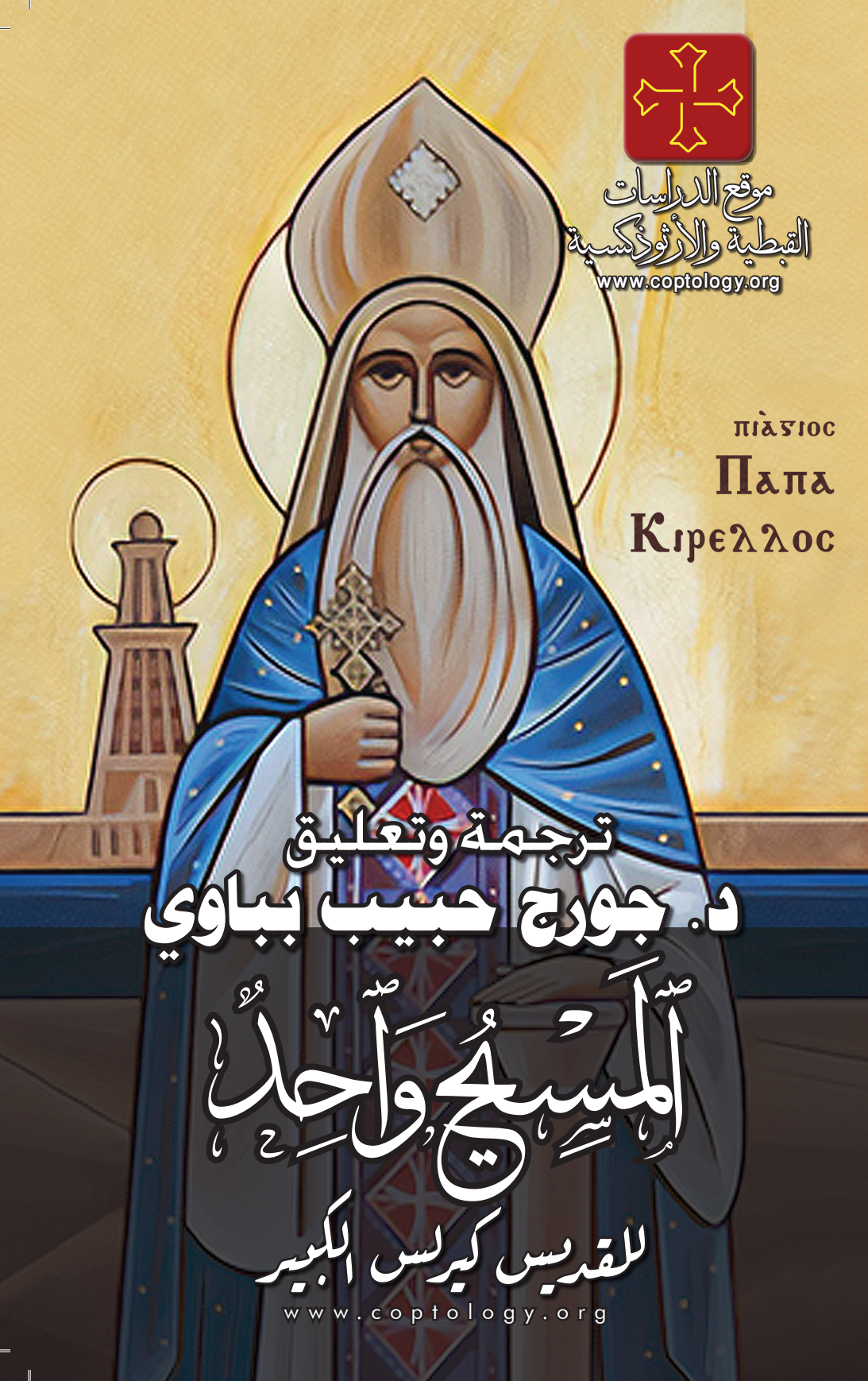

موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية
www.coptology.org

ترجمة وتعليق

د. جورج حبيب بباوي

المسيح واحد

للقديس كيرلس الكبير

www.coptology.org

المسيح واحد

للقديس كيرلس الإسكندري

ترجمة عن اليونانية وتقديم

دكتور

جورج حبيب بباوي

اسم الكتاب: المسيح واحد.

المؤلف: القديس كيرلس الإسكندري.

المترجم: دكتور جورج حبيب بباوي.

الطبعة: الأولى ١٩٨٧.

الثانية ٢٠٢١.

الناشر: جذور للنشر والترجمة والتوزيع – ٧٣١٦٩٧٧٢

المطبعة: جي سي سنتر ت: ٢٧٧٩٦١٣٧

١٤ شارع محمود حافظ – ميدان سفير – مصر الجديدة.

جدول المحتويات

مقدمة.. ٩

كتاب المسيح واحد: ٩

النسطورية في جوهرها:.. ١٠

النسطورية كمنهج روحي مشوَّه:................................ ١٣

الفصل الأول... ١٦

المعرفة الصحيحة والمعرفة الكاذبة ١٦

الحق لا يعتمد على فخامة الأسلوب: ١٦

انحرافات الهراطقة لا تختلف عن أباطيل الوثنية: ١٧

آراء الهراطقة في المسيح.. ١٧

الفصل الثاني ١٩

هرطقة نسطور ١٩

ما معنى عمانوئيل؟... ١٩

ما هو التجسُّد؟.. ٢٠

هل فقد لاهوته عندما تجسَّد؟ ٢١

الفصل الثالث.. ٢٢

ما معنى كلمة "صار" في الأسفار المقدسة؟ ٢٢

الشرح الصحيح للنص "الكلمة صار جسدًا"......................... ٢٢

صار لعنةً، وصار جسدًا ٢٣

العلاقة بين صار لعنة وصار جسدًا..... ٢٤
الجانب المعنوي لكلمة "صار" يجب أن يكون له أساسٌ في الواقع ٢٥
الفرق بين استخدام كلمة "صار" في الكلام عن آدم، والمسيح ٢٥
الفصل الرابع..... **٢٧**
"صار" لا تعني بالمرة تحوُّلًا في طبيعة الكلمة..... ٢٧
هل يمنع ميلاد الابن الأزلي من الاب، ميلاده من العذراء؟..... ٢٧
نتائج إنكار التجسُّد..... ٢٩
الفصل الخامس..... **٣١**
لماذا وُلِدَ من عذراء بالروح القدس؟ ٣١
ما هو تجسُّد الكلمة؟..... ٣٢
الفصل السادس **٣٤**
لماذا تسمى العذراء والدة الإله؟ ٣٤
اعتراضات النساطرة: ٣٤
الرد على الاعتراضات النسطورية: ٣٥
الفصل السابع..... **٣٧**
التجسُّد هو اتحادٌ بين اللاهوت والناسوت، وليس صلةً أو مصاحبةً أو علاقةً .. الخ ٣٧
الرد على الاعتراضات النسطورية وشرح الاتحاد..... ٣٨
تعارُض النسطورية مع ليتورجية الكنيسة..... ٤١
الصلة أو العلاقة خاصةٌ بنا وليست خاصةً بالابن المتجسد ٤٢
ضرورة استخدم تعبير "الاتحاد" في كلامنا عن التجسد ٤٢

الرد على تعليم نسطور عن التجسد ٤٣
"أخذ" تعني "اتَّحد" ٤٤
الفصل الثامن ٤٥
تناقض النسطورية مع نفسها يظهرُ في أن من أخذ صورة العبد لا يمكن أن يكون أصلًا عبدًا..... ٤٥
الفرق الأساسي بيننا وبين المسيح: ٤٥
المسيح واحدٌ من اثنين؛ لاهوت وناسوت ٤٦
الاتحاد لا يعني مساواة اللاهوت بالناسوت..... ٤٦
الاتحاد لا يعني الامتزاج ٤٧
الاتحاد يعني أن المسيح واحدٌ من طبيعتين: ٤٧
الفصل التاسع..... ٤٩
المسيح طبيعة واحدة متجسدة ٤٩
العليقة مثالٌ على الاتحاد..... ٤٩
رفض الاتحاد يعني الإيمان بابنين..... ٥٠
الفرق بين التجسد وحلول الله فينا..... ٥١
لماذا يجب التمييز بين البنوة كنعمة، والبنوة كطبيعة؟..... ٥٢
بنوة الابن لا تزول بسبب التجسد ٥٣
الفصل العاشر..... ٥٤
كيف نفهم الاتحاد والاخلاء؟..... ٥٤
اعتراضٌ هام على التعليم بعدم الاتحاد ٥٥
ما معنى أن الآب أعطاه اسمًا فوق كل اسم؟ ٥٦

شرحُ الإخلاء..... ٥٧
المسيح الواحد هو خالق كل شيء..... ٥٨
الفصل الحادي عشر..... ٦٠
التجسُّد ليس صلةً بين اللاهوت والناسوت..... ٦٠
اعتراض للهراطقة والرد عليه ٦١
مَن الذي مُسِحَ بالروح القدس؟..... ٦٢
كيف يُدعى الإنسان؟..... ٦٣
لماذا دُعيَ المسيحُ نبيًّا ورسولًا؟ ٦٤
المسيح ليس واحدًا من الأنبياء..... ٦٤
إذا قلنا إن المسيح نبيٌّ فقط، فكيف نشرح الاتحاد؟..... ٦٥
كيف تقدَّس الابن المتجسِّد في المعمودية؟ ٦٦
كيف تمجد المسيح؟..... ٦٧
لماذا صلى المسيح؟ ٦٨
كيف نفهم إلهي إلهي لماذا تركتني؟..... ٦٩
التدبير يشرح لنا الآلام والخوف والموت ٧١
ما سُجِّل عن الكلمة المتجسِّد هو خاصٌّ به كإله وإنسان ٧٢
كيف تقدَّم في القامة والحكمة؟..... ٧٥
الفصل الثاني عشر..... ٧٨
اتحاد اللاهوت بالناسوت..... ٧٨
آلامه وموته وقيامته والاتحاد ٧٨

فصل اللاهوت عن الناسوت يلغي الخلاص ٧٨
المتألم ليس إنسانًا فقط والا فقدنا قوة الصليب..... ٧٩
بالموت أمات الموت وأقام الحياة بالقيامة ٨٠
تجسَّد وصارت له خصائص الجسد..... ٨١
إذا كان المسيحُ واحدًا، فكيف تألم ناسوته فقط؟ ٨٢
المسيحُ يظهر كضعيفٍ بالموت وقويٍّ بالقيامة..... ٨٤
المجد الذي للابن الكلمة خاصٌّ به وهو متجسِّد ٨٥
لا خلاص من الله بدون اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح الواحد ٨٥
موت المسيح الواحد على الصليب هو وسيلة تجديدنا ٨٦
ما معنى أن الآب أعطاه اسمًا؟ ٨٧
الكلمة هو الذي تجسَّد ٨٨
مَن الذي نزل من السماء؟..... ٨٩
صلاة المسيح في جثسيماني..... ٩٠
لماذا دُعيَ آدم الثاني؟..... ٩٠
الموت والقيامة مع المسيح في المعمودية..... ٩١
الآلام والموت تمت طوعيًا ٩٣
اليهودية والوثنية ترفض الصليب لأنه ضعف أو جهالة..... ٩٤
تشبيهٌ لشرح آلام المسيح ٩٥
تطبيق التشبيه على الإفخارستيا..... ٩٥
فصل اللاهوت عن الناسوت يهدم الإفخارستيا..... ٩٦

الاعتراف الأرثوذكسي بالإيمان..... ٩٧

مقدمة

كتاب المسيح واحد:

كتب القديس كيرلس كتابه "المسيح واحد" على شكل حوار بينه وبين شخص رمز له بحرف B أو ب وضع على لسانه كل الاعتراضات والأسئلة التي أثيرت في الجدل مع النسطورية.

والحوار، أي طريقة السؤال والجواب، هو الأسلوب القديم في التعليم اللاهوتي الذي امتازت به مدرسة الإسكندرية، والذي عُرِفَ باسم "الكاتشزم" Catechism ويقوم على الرد على الأسئلة مباشرة، ولكنه يتميز رغم بساطته بثلاثة عناصر أساسية هي:

١- تحديد دقيق للفكرة أو المبدأ الذي يراد شرحه أو تعليمه، وذلك باختيار سؤالٍ محدد وردٍّ محدد.

٢- ربط الأسئلة والأجوبة بنظرة شاملة لكل العقائد، وبالتالي لا يصبح الأمر مجرد ردٍّ على سؤال، بل تكوين فهمٍ شاملٍ لكل ما يحيط بالسؤال والجواب من علاقة مع الموضوعات الأخرى. ولعل أقدم ما وصلنا هو حوار العلامة أوريجينوس مع هيراقليطس والذي عُثر عليه في صحراء طره جنوب القاهرة[١]، حيث يعالج العلامة أوريجينوس كل الأسئلة الخاصة بألوهية الابن من خلال شرح علاقة الابن بالآب وبالروح القدس، وعلاقة الابن بالمؤمنين، ويقدم أمثلةً على وحدة عمل الثالوث من الحياة الروحية نفسها.

٣- شرح أهم نصوص الكتاب المقدس بوضعها في الإطار الشامل الذي يقدِّمه الكتاب المقدس عن التعليم. وكما سنرى هنا في هذا الكتاب كيف يرد القديس كيرلس

---

(١) قمنا بنشر ترجمة عربية لهذا الحوار في كتابنا: التمييز بين العقيدة والهرطقة والرأي، جذور للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، يناير ٢٠١٦، ص ٣٩ وما بعدها.

على سؤال النسطورية عن معنى "الكلمة صار جسدًا" بأنها لا تفيد التحول في طبيعة الكلمة لأن فعل "صار" في الكتاب المقدس لا يعني التحول، مثل "الرب صار لي ملجأ" فهذا لا يعني أن الرب تحول إلى ملجأٍ.

النسطورية في جوهرها:

من الخطر الشديد أن نبسِّط الهرطقات إلى درجة أن نحصرها في كلمة أو كلمتين أو عبارة أو عبارتين. وتاريخيًّا لم تكن النسطورية رفضًا لكلمة أو لقب "والدة الإله"، كما أنها لم تكن أيضًا نقطة البداية. وإنما الصحيح هو التيار اللاهوتي والكتابي والنسكي الذي نشأ على يد أساتذة نسطور، وهم ثلاثة أجيال متتابعة من مسيحيين ينتمون إلى الشعوب السريانية، كان لديهم تفسيرهم الخاص للكتاب المقدس. وكما أننا نتهم آريوس وحده وننسى لوسيان أو لوقيان، فإننا ننسى ديودور وثيؤدور أساتذة نسطور. فالهرطقة تيارٌ فكري يُبرِز واحدًا من الناس في حقبةٍ معينة، وهو تيارٌ دائمًا وأبدًا كان وسيظل له قاعدة فلسفية يستند عليها ولا يتركها مهما كانت النتائج. كانت قاعدة الأريوسية الفلسفية هي رفض كل إمكانيات اتصال الله بالكون المادي والإنسان. هذا الرفض يعود إلى التيار الفلسفي الأفلاطوني الذي يرى في تعالي الروح على المادة الدليل الوحيد على سمو الروح، ولا يرى في تجلي المادة بخيرات الروح الوجه الآخر لسمو الروح، أي أن اللاهوت يرى السمو في العطاء والشركة، والفلسفة ترى السمو في التعالي والترفُّع والابتعاد والاحتقار. وإن شئنا أن نترجم هذا إلى لغة الإنجيل نقول إن العطاء هو المحبة، والترفُّع والتعالي والاحتقار هو الكبرياء، الأولى من الله الحقيقي، والثانية الله كما يتخيله الإنسان.

والنسطورية فلسفيًا وكما نرى عبر صفحات كتاب المسيح واحد، قاعدتها الفلسفية هي:

- الله الكلمة لا يُولَد مطلقًا، فاللاهوت لا يقبل الولادة.

- الله لا يمارس الاتضاع في علاقته بالإنسان، ولذلك هو لم يتجسد، بل اتصل

بإنسانٍ هو يسوع المسيح.

وهذا يعني في النهاية أن التجسد لم يكن حدثًا حقيقيًا، بل مجرد علاقة الابن الكلمة بإنسانٍ هو يسوع المسيح. فالنسطورية ترفض الاتحاد، وتحشد كل ما لديها من نصوص لرفض الاتحاد، أي اتحاد اقنوم الابن الكلمة بالناسوت، أو الاتحاد الأقنومي حسب تعبير القديس كيرلس السكندري وباقي الآباء. ولأن اتحاد اللاهوت بالناسوت قد رُفِض، فقد رَفَضَ نسطور لقب "والدة الإله" لأنه يؤكد الاتحاد، وهنا نرى عبر صفحات كتاب "المسيح واحد" وغيره كيف صار اختيار نسطور، أي هرطقة نسطور تهديدًا كاملًا وخطيرًا لكل العقائد الأخرى، ونلخِّص هذا في النقاط التالية:

١- إنكار الاتحاد بين اللاهوت والناسوت يعني في الواقع إنكار أُلوهية النعمة، أي أنها نابعة من الله ويعطيها الله نفسه للإنسان. فما هو هدف التجسد؟ يجيب القديس كيرلس: "لكي تتمجد طبيعتنا بكل أمجاد اللاهوت". وكيف يحدث هذا إذا ظل الإنسان على صلة أو علاقة أو مصاحبة مع اللاهوت؟ الرد هو أن دخول الابن الكلمة عالم الإنسان كان باتحاده بالدم واللحم، وكان باتخاذه جسدًا هو جسده الإنساني الذي وُلِد به من العذراء. هذا يعني أن حياة الكلمة الإلهية قد اتحدت اتحادًا حقيقيًا بالناسوت فصار الناسوت حيًا ومحييًا كما ذكرنا، وكما تقول الكنيسة القبطية في الاعتراف الأخير: "هذا هو الجسد المحيي".

إذن، إنكار النعمة كصادرة من الله وكعاملة لتحقيق اتحاد الله بالإنسانية، وهو الاتحاد الذي بدأ في المسيح وبالمسيح، هو في الحقيقة الخطر الحقيقي.

٢- وطبعًا يصبح من الواضح أن الإفخارستيا هي طعامٌ بائدٌ، وأن الدم الذي سُفِك عنّا هو مجرد دم بشري.

٣- وإنكار الاتحاد يعني أيضًا أن كهنوت المسيح نفسه هو عمل بشري قام به إنسان له علاقة بالله مثل هرون وكهنة العهد القديم. هذا طبعًا يهدم الكفارة أو الوساطة

لأن الوسيط الواحد بين الله والناس هو ربنا يسوع المسيح الإله المتجسد، وهو الذي به ندخل إلى الآب، والذي فيه وحده يمكن أن نقول للآب: "أبَّا أيها الآب"، لأننا لا نملك أن نصلي بقدراتنا كأبناء، ذلك أن البنوة هي عطية الابن الوحيد لنا، وهي ليست نابعة من الناسوت أي الإنسان، وإنما هي علاقة أُقنوم الابن بأُقنوم الآب، وهي ما يميز الابن في الثالوث، وهي بذاتها التي أُعلِنت في الجسد بتجسد الابن. هنا نرى أن صفة الابن الأُقنومية هي البنوة، أما عطية الابن لنا فهي التبني، والفرق كما نعرف هو فرقٌ بين مَن هو ابنٌ من ذات جوهر الآب قبل كل الدهور، ومَن مُنِحَ التبني لأنه مخلوق. والفرق بين المصدر أو الينبوع والمنحة هو فرقٌ كبير جدًا، لعل أقل ما يقال عنه إن المنحة لا وجود ولا بقاء لها إذا فقدت صلتها بالمصدر أو الينبوع، بينما يبقى الينبوع دون أن يفقد شيئًا. وهكذا نرى أن استمرار عمل المسيح ككاهن، هو استمرارٌ للوساطة واستمرارٌ لتدفق النعمة الإلهية.

٤- وإنكار الاتحاد هو هدمٌ لسر الكنيسة جسد المسيح الواحد. والكنيسة هي الجماعة البشرية التي دخلت في علاقة خاصة بالله، وماذا نسمي هذه العلاقة، وهي علاقة نابعة من اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح؟ حقًا هي جسد المسيح، والاسم ذو دلالة خاصة، فالجسد البشري هو العنصر المشترك بيننا وبين الكلمة المتجسد، ولأن الكلمة اتحد بهذا الجسد، صار الجسد هو دعامة كل علاقة البشر بالكلمة المتجسد. هذا هو السبب في أن تُسمى الكنيسةُ بجسد المسيح، لأننا كما كنّا جميعًا في آدم الأول، صرنا في المسيح آدم الثاني، أي الخليقة الجديدة، أي جسد المسيح، لكن الخليقة الجديدة ليست مثل الخليقة الأولى أو القديمة معرضةٌ للموت والفساد والهلاك الأبدي، بل هي محفوظةٌ وثابتةٌ في الحياة الأبدية، لأن الذي حَفِظَ وثبَّت وخلَّد الطبيعة الإنسانية ومنع عنها الموت هو الكلمة الذي أخذ طبيعتنا الإنسانية وقدَّسها ومجَّدها وأقامها لعدم فساد.

والكنيسة كجماعة، تحيا بقوة ونعمة أُلوهية ربنا يسوع، وحياتها النابعة من الله في ابنه وبالروح القدس هي حياة إلهية واحدة تجمع كل طبائع البشر المختلفة والفاسدة لكي تجعلها في جسد المسيح الواحد، حيث يصبح كلُّ فردٍ عضوًا في وحدةٍ، وليس عنصرَ

اختلافٍ وانقسامٍ وتشويش. فالوحدة هنا هي فعلًا بدون "امتزاجٍ ولا اختلاط"، أي أن كل عضو له كيانه وشخصيته وحياته، ولكنه واحدٌ مع غيره. هذه الوحدة مصدرها ابن الله المتجسد الذي جعل "ناسوته واحدًا مع لاهوته بدون امتزاج ولا اختلاط". وتفقد الكنيسة كل ذلك وتتحول إلى مؤسسة إنسانية فقط، إذا قبلت النسطورية، أي إنكار الاتحاد الأقنومي.

النسطورية كمنهج روحي مشوَّه:

يبدو من الواضح أن النسطورية ذات خطر شديد على المسيحية وعلى الرجاء المسيحي، لا سيما القيامة من الأموات. ذلك أن انفصال اللاهوت عن الناسوت في المسيح الواحد هو في الواقع دعوةٌ إلى إنكار الاتحاد كهدفٍ وغايةٍ يصل إليها الإنسان بواسطة النعمة. نحن لا نستطيع أن نصل إلى الاتحاد بالله بقدراتنا مهما كانت، لأن الله نفسه يجب أن يمنح هذه العطية، وإلَّا تعذَّر على الإنسان أن يصل إلى الاتحاد بالله. هنا يجب أن ننتبه إلى حقيقةٍ لاهوتيةٍ هامةٍ، وهي أن مجيء ابن الله وتجسُّده، أي تواضعه واتحاده بفقرنا، هو السند الوحيد والدليل الأول والأخير على أن الله يريد أن يتحد بنا في يسوع المسيح وبالروح القدس. فالتجسُّد هو دعامة الاتحاد، أو هو مصدر الاتحاد بالثالوث، لأن الابن وُلِدَ من عذراء، والقديس كيرلس يسأل: "لماذا لم يأخذ جسده من زواج؟" ويقول: "الله لم يحتقر الزواج، بل حَفِظَ له بركةً خاصةً"، حتى "نولد نحن ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل، بل من الله". هذا الميلاد الجديد بدأ هذه البداية الفائقة لكي "يحوِّل الابن طبيعتنا فيه"، ولكي نستطيع أن نولد مثل المسيح وندعو الله أبًا .. ويؤهلنا هذا الميلاد الجديد أن نبقى في عدم انحلال لأننا امتلكنا، ليس طبيعة آدم الأول الذي فيه انحللنا، بل طبيعة آدم الثاني". لقد نزل الابن "إلى حالتنا لكي يرفعنا إلى كرامته الإلهية". وهكذا أيضًا مُسِحَ بالروح القدس لأنه أخلى ذاته لكي نُمسَح نحن فيه، ونالت الطبيعة الإنسانية فيه التقديس، فهو كإنسان يتقدَّس بسبب المسحة لأجل البشر، ويقبل من الآب ومن الروح القدس ما يؤهِّل الإنسانية لعلاقة جديدة مع الآب ومع الروح القدس. هنا نرى أن العلاقة ليست مجرد صلة خارجية، وإنما هي علاقة نابعة

من نوع الحياة ومن الطبيعة نفسها. فالمسيح يُولد ويُمسح لكي يصبح الميلاد لعدم الفساد، ومسحة التقديس هبة نابعة مما حدث له، أي أن جذرها هو كيان المسيح نفسه. ولذلك يستخدم القديس كيرلس بوفرة في كل مؤلفاته تعبيرًا هامًا، وهو "الأصل والجذر" لوصف حقيقة الخلاص. فالمسيح هو الجذر الحقيقي الذي منه نَبَتَ الجنس البشري الجديد. وهكذا يشرح القديس كيرلس حقيقة الخلاص، ويتصور أن المسيح له المجد يقول: "أنت ترى فيَّ أنا الجنس البشري وقد وصل إلى عدم الخطأ وصار قدوسًا وطاهرًا ..". فالإنسانية في المسيح تكوَّنت من جديد، وتكونت من خلال اتحاد اللاهوت بالناسوت في الكلمة المتجسد.

إذن، فالحياة الروحية هي كيانٌ جديد، وهذا الكيان الجديد هو تعطُّف الآب. والتحول من العصيان والموت إلى حياة عدم الفساد. فالروحانية هنا ليست تحوُّلًا أخلاقيًا يتم بواسطة الإرادة الإنسانية، وانما تحولٌ في كيان الإنسان تم بواسطة اتحاد اللاهوت بالناسوت في الكلمة المتجسَّد الذي فيه نَبَتَ الجنس الجديد أو الجذر أو آدم الثاني.

ويصل القديس كيرلس إلى أهمية الاتحاد الأقنومي عندما يشرح الآلام وموت المسيح. فلو كان الكلمة على اتصال، أي مجرد صلة بيسوع ولم يكن الكلمة هو يسوع "إذًا نحن لم ننل الفداء من الله، وانما نلناه بدمٍ آخرٍ، بل أن الذي مات على الصليب ليس إلَّا مجرد إنسان دُعيَ زورًا بالابن". وهنا، موت المسيح هو موت الطبيعة الإنسانية فيه، أي موتها وهي متحدة بلاهوت الكلمة، وهذا يعني أن الذبيحة مقدسة، أي ذبيحة المسيح التي قدَّمها على الصليب. فقد أباد الموت بموته. وصار جسده غير خاضع للفساد لأنه جسد الحياة، أي جسد الكلمة. ويسأل القديس كيرلس: "إذا لم يكن الدم الثمين هو دم الابن المتجسد حقًا، بل مجرد دم سفكه إنسانٌ فائقٌ نال البنوة كإكرامٍ، فكيف لا يُحسَب دمَه كلا شيء". وهنا تكون قوة دم المسيح نابعة من اتحاد هذا الدم بلاهوت الكلمة. والقيامة أيضًا "برهنت على أنه أقوى من الموت والفساد لأنه الحياة، بل والمحيي". هنا يكون رجاء الحياة الإنسانية ليس في تطور أخلاقها فقط، وإنما في تطور كيانها إلى عدم الفساد والموت كقاعدة للأخلاق الجيدة. وهذا يعني أن الأخلاق

المسيحية نابعةٌ من حياةٍ جديدةٍ، وتعبِّر بالسلوك الأخلاقي عن حياة عدم الموت وعن انتصار الطبيعة الجديدة. هنا تصبح دعوة الإنجيل دعوةً حقيقيةً لحياةٍ أخلاقيةٍ نابعةٍ من حياةٍ جديدةٍ وتعبِّر عنها بالسلوك الجديد. فالإنسان لا يحيا وفق قواعد خارجية تُفرَض عليه من ناموس خارجي، بل حسب شريعة الحياة الجديدة التي لا تقع في ازدواجية الناموس والحياة العتيقة، وهي ازدواجية عقلية وكيانية، بل الشريعة نابعة من اختبار الحياة الإنسانية الجديدة، ومن وحدانية الشريعة والحياة الإنسانية. وفي حقيقة الأمر أن ازدواجية الشريعة والحياة الإنسانية مصدره الحقيقي هو انفصال الله عن الإنسان، والذي صار في النسطورية معاداة اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح. وما تقسيم المسيح إلى اثنين؛ ابن الله وابن الإنسان سوى الإبقاء على ازدواجية الله والإنسان، ازدواجية الانفصال. وتصل النسطورية إلى أخطر مرحلة عندما تحاول أن ترفع الإنسان يسوع المسيح إلى كرامة الابن الكلمة، وهذا يعني في الواقع أن كل ما ناله الإنسان يسوع المسيح ليس له ولا يملكه، بل هو ممنوحٌ له أيضًا من الكلمة الذي اتصل بإنسانٍ هو يسوع المسيح. هنا نرى أن النعمة ليست حقيقية وليست نابعة من الكلمة، ولا آتية إلينا بشكل حقيقي بسبب اتحاد الكلمة بالناسوت، بل هي عطية خارجية أعطاها الكلمة للإنسان يسوع المسيح كما يعطيها للمؤمنين، وكما أعطاها من قبل في العهد القديم، بل يمكن أن نقول إنه لا توجد نعمة. وبكل وضوح يقول القديس كيرلس إن الكلمة الابن الوحيد هو وحده وليس آخر معه هو **الوسيط، وهو الوسيط المتجسد**، ولذلك بدون الاتحاد يصبح لدينا اثنين أحدهما الكلمة، والثاني هو يسوع، وهذا يعني في حقيقة الأمر أن كل ما قام به يسوع هو بلا قيمة بالمرة، ويصبح يسوع مثل المؤمن، وهذا يحدده كيرلس بقوله: "إن النساطرة اخترعوا واحدًا مثلنا نال البنوة كنعمة تبني"، أي نال المجد مثلنا نحن البشر، نال المجد "الذي مُنِحَ له من الخارج".

تم تعريب هذا الكتاب عن مجموعة الآباء باليونانية (ميني) مجلد ٧٥ (MG 75).

دكتور/ جورج حبيب بباوي

الفصل الأول

المعرفة الصحيحة والمعرفة الكاذبة

(أ) أن الذين يحبون المعرفة، هؤلاء يجمعون المعرفة المحيية في عقولهم ولا يشبعون من التعاليم المقدسة، كما هو مكتوب: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (متى ٤: ٤). وغذاء العقل والخبز الروحي هو الكلمة الذي يسند قلب الإنسان" (مزمور ١٠٤: ١٥) حسبما نرتِّل في سفر المزامير.

(ب) حسنًا قلت.

الحق لا يعتمد على فخامة الأسلوب:

(أ) يُعجَب الحكماء والفهماء عند اليونانيين بفخامة الأسلوب. ويفتخرون ببلوغ حُسن الأسلوب والفصاحة. ويسعون أيضًا إلى التدقيق في اختيار الكلمات ومعانيها. أمَّا شعراؤهم، فإن فخامة الأسلوب وضخامة التعبير لها عندهم مقاييس خاصة بجانب الأوزان التي تضبط الإيقاع السليم. ومع كل هذا، فالحق عندهم قليلٌ جدًا، لأنهم مرضى بقلة الحق، إذ ليس لديهم اعتقادٌ سليمٌ عن الله، ولا يعرفون مَن هو، حسبما يقول القديس بولس: "بل سفهوا في أفكارهم وأظلمت قلوبهم الغبية وزعموا أنهم حكماء، فصاروا حمقى واستبدلوا مجد الله الذي لا يدركه البلى، بشبه صورة إنسان يبلى، وطيور ودبابات وزحافات" (رومية ١: ٢١-٢٢).

(ب) حقًا وصوابًا قال عنهم الله بصوت أشعياء: "ألا تعلمون أن قلبهم رماد لأنهم قد خُدِعوا" (٤٤: ٢٠).

انحرافات الهراطقة لا تختلف عن أباطيل الوثنية:

(أ) ويضاف إليهم كلَّ مخترعي الهرطقات الدنسة، فهؤلاء المستبيحون المرتدُّون يفتحون أفواههم بالكلام بدون حساب ضد المجد الإلهي ويتكلمون بأمور ملتوية" (أعمال ٢٠: ٣٠). هؤلاء سوف تظهر حماقتهم، وسوف يظهر أنهم انزلقوا إلى خطايا ليست أقل خطورة من الخطايا التي أدمنها اليونانيون، أو ربما خطايا تفوق خطايا اليونانيين "إذ كان خيرًا لهم أن لا يعرفوا طريق الحق من أن يرتدوا –بعد ما عرفوه– عن الوصية المقدسة التي سُلِّمت إليهم. فلقد تم فيهم ما في المثل الصادق "عاد الكلب إلى قيئه" وأيضًا "عادت الخنزيرة المغتسلة تتمرغ في الحمأة" (٢بطرس ٢: ٢١–٢٢). وهؤلاء اقتسموا فيما بينهم خطايا التجديف على المسيح، وصاروا مثل ذئابٍ شرسةٍ قاسيةٍ تُمزّق القطيع الذي مات المسيح لأجله، وتسلب ما يخصه "مكثِّرين ما ليس لهم" –كما هو مكتوب– "ومثقِّلين أحمالهم" (حبقوق ٢: ٦) وعنهم قيل بكل وضوح: "مِنّا خرجوا ولكنهم لم يكونوا مِنّا" (١ يوحنا ٢: ١٩).

(ب) بالتأكيد.

آراء الهراطقة في المسيح

(أ) من المناسب لنا أن نبدأ الحوار عن الأمور التي ينشرها بعض الناس الذين لا فَهم لهم. هؤلاء يُحِطُّون من مساواة الابن الوحيد بالله الآب، ويرفضون بهاءه الإلهي ممعنين في تأكيد أنه ليس من ذات جوهر الآب، رافضين أن يعترفوا بأن له ذات جوهر الآب. والبعض، الذين يسيرون على نفس الطريق، يسقطون في فخ الشيطان وتعاسة الهاوية، يقلبون سر تجسد الابن الوحيد ويصبحون شركاء السابقين. فالفريق الأول يخطئ بمحاولة إنزال الابن الوحيد المولود من الله الآب من علو أُلوهيته بسبب تجسده. أمَّا الفريق الثاني، فقد اختار أن يحاربه وهو متجسد، محاولين في تعاستهم، أن يجدوا أخطاءَ في نعمته المتحننة زاعمين أنه لم يتجسد بالمرة، ولم يأخذ فقرنا، وينكرون أنه تجسد وظهر على

الأرض وتحدَّث مع الناس (باروخ ٣: ٣٨)، وظلَّ الله بالطبيعة والجالس مع الآب.

(ب) أنت تقول الصواب.

(أ) وتصرخ أسفار الله الموحى بها ضد الفريقين معلنةً لنا الحق، وموضحةً لنا ضعف ما يقولونه وعجزه. ولكن الأسفار الإلهية تبني –في نفس الوقت، وعلى أساس إلهيٍّ– كلَّ الذين لهم عينُ فهمٍ مدقِّقةٍ فاحصةٍ عن السر. وماذا سيصبح هؤلاء الذين تدنَّسوا برفض **التدبير الملوكي غير المنطوق به والخاص بالمخلص؟** أنت نفسك تبدو مضطربًا بسبب أقوالهم، ولذلك لن أضيع الوقت وسأسألك مباشرةً.

(ب) لقد قلتَ الحق، لأنني قلقٌ ومضطربٌ جدًا، بل إنني مرتعبٌ من النتيجة التي تقود إليها تعاليمهم. لقد غشُّوا الإيمان الذي سُلِّم إلينا ومزجوه باختراعات التنين الجديد الذي يصب سُمَّه في نفوس البسطاء. وهو سُمٌّ قاتل مملوء بالباطل والموت.

الفصل الثاني

هرطقة نسطور

(أ) لكن مَن هو هذا التنين الجديد، وما هي أحابيله التي اخترعها ضد التعليم الأرثوذكسي؟

(ب) هذا التنين المخادع، بعدما شرب السُّم، ترك تقاليد الرسل الذين قادوا العالم إلى الإيمان، وليس ذلك فقط، بل ترك تعاليم الأسفار الموحى بها من الله. وهو يخترع ما يراه هو صوابًا، وهو ليس كذلك، ويدَّعي بأن العذراء القديسة ليست والدة الإله، مضيفًا تفسيرًا فارغًا ومشوشًا إلى التعليم الأرثوذكسي النقي الذي تعلِّم به الكنيسة الجامعة.

(أ) هل تعني نسطور؟ هكذا فهمت إشارتك. ولكن ما هي كلماته بالضبط، وكيف يشرح أن العذراء ليست والدة الإله؟

(ب) يشرح ذلك على هذا النحو: العذراء لم تلد الله، لأن الله الكلمة لا يُولد، فهو كائنٌ قبل العذراء، بل كائنٌ قبل كلِّ زمانٍ لأنه أزليٌّ مع الله الآب.

ما معنى عمانوئيل؟

(أ) ولكن قوله هذا سيؤدي إلى إنكار أن عمانوئيل هو الله. وليس بلا سبب أن الإنجيلي فسَّر معنى الاسم قائلًا: "عمانوئيل الذي تفسيره معنا الله" (متى ١: ٢٣). وهكذا أكَّد الله بكل وضوح بواسطة النبي، ماذا سيُدعى عندما يُولد بالجسد من العذراء القديسة، لأنه سيكون الله المتجسد.

(ب) ولكنهم لم يفهموا معنى عمانوئيل لأنهم يقولون: [إن الله معنا، بمعنى أن

الكلمة الذي من الله يعتني بنا، لأنه خلَّص كل الذين تحت السماء بواسطة الذي وُلِد من امرأةٍ].

(أ) ولكن هذا التفسير غير صحيح. ألم يكن مع موسى عندما خلَّص بني إسرائيل من العبودية "بيدٍ قويةٍ وبذراعٍ ممدودةٍ" (مزمور ١٣٦: ١٢)، كما هو مكتوب؟ ألا نراه يقول بعد ذلك ليشوع: "وكما كنت مع موسى سوف أكون معك" (يشوع ١: ٥)؟

(ب) هذا صحيح.

(أ) لماذا لم يُدعَ موسى أو يشوع عمانوئيل؟ ولماذا أعلن هذا الاسم في مناسبةٍ خاصةٍ فقط بمَن وُلِد بطريقةٍ معجزيةٍ حسب الجسد من امرأةٍ في آخر الدهور؟

ما هو التجسُّد؟

(ب) كيف تفهم أن الله وُلِد من امرأةٍ، وأن الكلمة بدأ من العذراء وأخذ كيانه منها ثم وُلِدَ به؟

(أ) هذه كلماتُ إنسانٍ غير ثابتٍ في الإيمان، ومشورةٌ هالكة، لأن مَن يفسِّر تجسد الكلمة بهذا الشكل، عقلُه مريضٌ، يقلب الحقائق ويحولها إلى اعتراضات لا تستحق التفكير. كيف يدَّعي هؤلاء أن أقنوم الابن الوحيد بدأ من العذراء، وأنه أخذ كيانه منها عندما تجسَّد؟ هو بالحقيقة الإله الأزلي مع الآب، والذي منه وحده وُلِد أزليًا بطريقة تفوق الإدراك. أمَّا الذين يريدون أن يعرفوا بوضوح كيف وبأي طريقة تجسَّد الابنُ وظهر في شكلنا، فيوحنا الإنجيلي يقول لهؤلاء: "والكلمة صار جسدًا وسكن فينا ورأينا مجده مجد ابن وحيد للآب مملوءً نعمةً وحقًا" (يوحنا ١: ١٤).

هل فقد لاهوته عندما تجسَّد؟

(ب) لكن إذا كان الكلمةُ صار جسدًا، فهل هو لم يظل الكلمة، بل تغيَّر وفَقَدَ لاهوته؟

(أ) هذا بالحقيقة لغوٌ وكلامٌ فارغٌ، بل اختراعات مجانين، لأنهم كما يبدو لي يظنون أن كلمة صار egeneto تعني معنىً واحدًا فقط، وهو التغيُّر والتحول.

(ب) نعم هم يظنون أن "صار" تعني التغيير، ويؤيدون شرحهم ببراهين من الكتب الموحى بها. وعلى سبيل المثال قيل في موضعٍ معيَّنٍ عن زوجة لوط: "صارت عمود ملح" (تك ١٩: ٢٦). ويضيفون إلى هذا النص ما قيل عن عصاة موسى: "فطرحها على الأرض فصارت حيَّةً" (خروج ٤: ٣). وفي كلتا الحالتين حدث تغييرٌ في طبيعة زوجة لوط وعصا موسى عبَّرت عنه كلمة "صار".

الفصل الثالث

ما معنى كلمة "صار" في الأسفار المقدسة؟

(أ) إذا صَحَّ هذا، فعندما ينشد أحدهم: "الرب صار لي ملجأً" (مزمور ٩٤: ٢٢)، أو: "أيها الرب أنت صرت ملجأً لنا من جيل إلى جيل" (مزمور ٩٠: ١)، فماذا سيقولون؟ هل الذي يسبّحُه المزمور قد تغيَّر وفقد أُلوهيته عندما صار ملجأً، أي تحوَّل إلى طبيعة أخرى غير طبيعته الإلهية؟

(ب) لا. هذا التفسير لا يُناسِب الله، بل لا يليق بالمرة؛ لأن طبيعة الله غير متغيرة، فهو كائنٌ من الأزل وإلى الأبد، وهو الدائم غير المتغير، وهو ما يجعله ملجأً للذين يحتمون به.

(أ) حسنًا جدًا تكلمت، لأن افتراض التغيير كمعنى لكلمة "صار" لا ينطبق على الله، وهكذا لا ينطبق على الله إذا "صار جسدًا". والادعاءُ بالتغيير في طبيعة الله هو جهلٌ وكفر. ويبدو لي أنه من الأوفق أن نسعى لفهمها بطريقةٍ أخرى تتفق مع الحكمة التي تخص عمل غير المحسوس وغير المتغير، أي الله.

الشرح الصحيح للنص "الكلمة صار جسدًا"

(ب) كيف تفِّسر "الكلمة صار جسدًا"، وكيف تشرح احتفاظه بعدم تغيير أقنومه عندما تجسد؟

(أ) يبشِّرنا بولس الحكيم جدًا ووكيل أسراره وكاهن الإنجيل: "فليكن فيكم الفكر الذي كان في المسيح يسوع أيضًا. الذي إذ كان في صورة الله صار في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسانٍ تواضَعَ وأطاع حتى الموت، موت الصليب" (فيلبي ٢: ٥-٨).

فالكلمة الابن الوحيد الإله الذي وُلِد من الله الآب الذي هو "بهاء مجده ورسم جوهره" (عبرانيين ١: ٣)، هو الذي صار جسدًا، دون أن يتحول إلى جسد، أي بلا امتزاج أو اختلاط أو أي شيءٍ آخر من هذا القبيل، بل "أخلى ذاته" وجاء إلى فقرنا، ومن أجل الفرح الموضوع أمامه، استهان بالعار (عبرانيين ١٢: ٢)، دون أن يحتقر فقر الطبيعة الإنسانية لأنه أراد كإلهٍ أن يخلِّص الإنسان الخاضع للموت والخطية، وأن يجعله فوق الموت والخطية، وأن يعيده إلى ما كان عليه في البدء، فجعل جسد البشر جسده، وبنفسٍ إنسانيةٍ عاقلة، وليس كما يقول البعض إنه جسدٌ بلا نفس. ولم يرفض أن يكمِّل طريق الخلاص حتى نهايته، ولذلك قيل عنه إنه وُلِد مثلنا، دون أن يفقد ما يخصه. فوُلِد كإنسانٍ بطريقةٍ معجزيةٍ من امرأة، لأنه لم يكن ممكنًا بالمرة أن نرى الله على الأرض في شكله غير المنظور، لأن الله لا يُرى، فهو غير مرئي، وطبيعته غير محسوسة، **لكن حَسُنَ في عينيه أن يتجسد وأن يُظهِر في ذاته وحده كيف يمكن أن تتمجد طبيعتنا بكل أمجاد اللاهوت،** لأنه هو نفسه إلهٌ، وإنسان "في شبه الناس" (فيلبي ٢: ٨). ولأنه أصلًا إلهٌ قيل عنه إنه "صار في شبه الناس" (فيلبي ٢: ٨). فالله الذي ظهر في شكلنا وصار في صورة العبد، هو الرب. وهذا ما نعنيه بأنه صار جسدًا. ولذلك نؤكد أن العذراء القديسة هي والدة الإله.

صار لعنةً، وصار جسدًا

(ب) هل توافق على المقارنة بين كلماتك وكلماتهم، حتى يظهر الحق، أم أنك ترغب في أن نكتفي بما ذكرت على اعتبار أنه الشرح النهائي؟

(أ) قُل ما تراه أنت مناسبًا، لأن المقارنة سوف تقود إلى أفضل النتائج، ولا خطأ بالمرة في كل ما ذكرناه لأنه يعتمد على حكمة الأسفار ودقتها التي أوحى بها الله.

(ب) بولس الإلهي يكتب –وهذا النص يستخدمه الهراطقة– أن الابن صار لعنةً وخطيةً "الذي لم يعرف خطيةً صار لأجلنا خطيةً" (٢ كورنثوس ٥: ٢١). وأيضًا

"المسيح افتدانا من لعنة الناموس فصار لأجلنا لعنةً" (غلاطية ٣: ١٣). وهم يقولون إنه لم يصر لعنةً فعلًا، وفي الواقع لم يصر خطية، وأن هذا تعبير تستخدمه الأسفار المقدسة وتعني به شيئًا معنويًا وهو أيضًا المقصود من عبارة "الكلمة صار جسدًا"، فهي (حسب قولهم) لا تعني أنه فعلًا تجسَّد، بل إنه قام بأعمالٍ عملها في الجسد. وهذا هو معنىً آخر لكلمة "صار".

(أ) ولكن الحقَ واحدٌ في القول: "صار لأجلنا لعنة وخطية"، و"صار جسدًا" لأن كلا القولين يخصَّان شخصًا واحدًا بعينه.

العلاقة بين صار لعنة وصار جسدًا

(ب) كيف تقول هذا؟ لأنه عندما يقول الرسول: "الذي لم يعرف خطيةً صار لأجلنا خطيةً"، "واشترى من لعنة الناموس كل الذين كانوا تحت لعنة الناموس بأن صار لعنةً لأجلهم"، فكيف حدث هذا فعلًا في الوقت الذي فيه تجسَّد الابن الوحيد وصار جسدًا؟

(أ) إن كلمة "صار" تحتوي على الحقائق الخاصة بالتجسُّد، وكل ما حدث له تدبيريًا عندما أخلى ذاته إراديًا، وقَبِلَ الجوع والتعب. وكان من المستحيل أن يتعب وهو الكُلِّيُّ القوة، ولا يمكن أن يجوع وهو طعامُ الكلِّ وحياتهم لو لم يكن قد أخذ جسدًا بشريًّا ومن طبيعته أن يجوع ويتعب [١]. وكذلك كان من المستحيل أن يُحصى مع الأثمة لو لم يكن قد صار لعنةً لأجلنا، عندما تأنَّس وصار جسدًا ووُلِدَ مثلنا كإنسانٍ من العذراء القديسة مريم.

(ب) ما ذكرته صواب.

---

(١) أثناسيوس: ضد أريوس ٣: ٣٠ [المعرِّب].

الجانب المعنوي لكلمة "صار" يجب أن يكون له أساسٌ في الواقع

(أ) ولكن ليس صحيحًا أنه يوجد معنى آخر لكلمة "صار"، وأن "الكلمة صار جسدًا" بطريقةٍ معنوية كما صار لعنةً وخطيةً بطريقةٍ معنويةٍ أيضًا.

(ب) ماذا تعني؟

(أ) ألم يُحسَب مثل الخطاة لكي يرفع اللعنة؟ ألم يجعله الآبُ خطيةً لكي يضع نهايةً للخطية؟

(ب) يتفق الهراطقةُ معك على هذا.

(أ) إذا كانوا يوافقون على ما ذكرناه، وأنه حقًا "صار الكلمة جسدًا"، فكيف صار جسدًا بكل صواب، وصار لعنةً وخطيةً بطريقةٍ معنويةٍ فقط؟ **كيف قضى معنويًا على جسد الموت والخطية؟ كيف جعل معنويًا الجسدَ غيرَ فاسدٍ وغيرَ قابلٍ للموت إن لم يكن قد حقَّق هذا في جسده أولًا بشكلٍ حقيقيٍّ وليس بطريقةٍ معنوية؟**

عندما تجسد لم يترك جسده خاضعًا للموت والفساد كما فعل آدم الذي نقل إلينا عقوبةَ المعصية، أمَّا المسيحُ فقد أعطانا جسده الإلهي غير الفاسد، والذي فيه صار الجسدُ غيرَ خاضعٍ للموت والفساد.

(ب) حسنًا شرحت.

الفرق بين استخدام كلمة "صار" في الكلام عن آدم، والمسيح

(أ) تقول الأسفار الإلهية في موضعٍ معيَّنٍ: "الإنسان الأول -أي آدم- صار نفسًا حيَّةً، ولكن الذي جاء بعده، أي المسيح "صار" روحًا مُحْيِيًا" (١كورنثوس ١٥: ٤٥)، فهل يمكن استخدام الجانب المعنوي لكلمة "صار"، وهل يصلح الجانب المعنوي

فقط للقضاء على اللعنة والخطية؟ بكل تأكيد لا، فقد جاء آدم الثاني لكي يجدِّد الوضع القديم، أي لا يبقى الإنسانُ نفسًا حيَّةً فقط، ولذلك صار هو روحًا مُحيِيًا. أما الهراطقة فعندما قلبوا معنى كلمة "صار" فَقَدت قوتها، وعندما قالوا إنه لم يَصِر جسدًا بنفس المعنى الحقيقي الذي ينطبق على "صار لعنةً"، فقد أدَّى هذا في النهاية إلى حتمية إنكار التجسُّد وإنكار حقيقة أن الكلمة صار جسدًا. وإذا أخذنا الجانب المعنوي كمبدأٍ نفسِّر به سر التدبير كله، فإننا نصل في النهاية إلى أن المسيح لم يُولَد ولم يمُت ولم يَقُم حسب الكتب، وماذا يبقى لنا من "كلمة الإيمان التي نكرز بها" (رومية ١٠: ٨)؟ كيف أقامه الله معنويًا من بين الأموات إن لم يكن قد مات فعلًا؟ **من أين يأتي الرجاء الحي بعدم الموت إلَّا إذا كان المسيح قد قام حقًا؟ وكيف تتم قيامة أجسادنا إلَّا بالاشتراك في جسده ودمه؟**

الفصل الرابع

"صار" لا تعني بالمرة تحوُّلًا في طبيعة الكلمة

(ب) أنت تقول إن الكلمة صار جسدًا، أي وُلِدَ حسب الجسد من امرأةٍ في آخر الزمان، فهل ظلَّ كما هو الله الكائن قبل الدهور؟

(أ) بكل يقين ظلَّ الله الكائن قبل الدهور عندما صار مثلنا في كلِّ شيءٍ ما خلا الخطية وحدها. ويشهد بولس الحكيم جدًا على ذلك بقوله: "إذ اشترك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو فيهما أيضًا لكي بالموت يقضي على ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس ويعتق اولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية. لأنه حقًا لم يأخذ جسدًا من الملائكة، بل أخذه من نسل إبراهيم، ومِن ثمَّ كان ينبغي أن يشبه اخوته في كل شيء" (عبرانيين ٢: ١٤-١٧). وأنْ يشبه اخوته في كل شيء، معناه أن يكون لهذه المشابهةُ بدايةً، وهي الميلاد من امرأةٍ وظهوره في الجسد، لأنه كإلهٍ، هو غيرُ منظورٍ وسَكَنَ تدبيريًا في وسطنا. ولكنه وهو الكليُّ القدرة اسمه، جاء إلى تواضع الإنسانية، وهو الساكن في الأعالي، وعرشُه فوق الكل. هو الربُّ بالطبيعة، ولكنه صار في شكل العبد "كان الكلمة الله" (يوحنا ١: ١).

هل يمنع ميلاد الابن الأزلي من الاب، ميلاده من العذراء؟

(ب) لقد شرحتَ حسنًا، ولكنك تعلم أنهم يقولون إنه من المستحيل، بل غير مقبول أن الكلمة المولود من الآب بطريقةٍ تفوق الإدراك والفهم، يُولَد مرةً ثانيةً من امرأة، لأنه يكفي -كما يقولون- أن يُولَد مرةً واحدةً ميلادًا إلهيًّا من الله الآب.

(أ) إنهم يتهمون الابن بالخطأ لأنه تجسَّد، ويتهمونه بأنه لم يفعل الصلاح عندما قَبِلَ إراديًا أن يُخلي ذاته لأجلنا، **وهكذا يهدمون تمامًا السر الملوكي للتقوى وجمال**

التدبير، أي تجسُّد الابن الوحيد ويفرغونه من معانيه وفوائده التي تهم البشر. وخرافات وثرثرة الهراطقة تفتقر إلى الأساس الإلهي، أي كلمة الحق في الأسفار الإلهية، بل تبرهن على أن قائليها يجهلون سر المسيح. **والحق الواضح هو أن الله الآب وَلَدَ من جوهره الابن ميلادًا واحدًا فريدًا، ولكنه ارتضى هو والابن أن يخلِّص الجنس البشري بواسطة التجسد والتأنس.** وحدث هذا بكل تأكيد بميلاده من امرأة حتى يصير الكلمة المولود من الله مثلنا، لكي يدين ناموس الخطية الذي في أعضاء جسدنا" (رومية ٧: ٢٣). ولكي يتم القضاء على الموت كان يجب أن الذي لا يعرف الموت، يموت "لأننا أن كنَّا قد زُرِعنا معه بشبه موته، سنكون أيضًا معه في شبه قيامته" (رومية ٦: ٥). لذلك كانت حاجة الكائن الأزلي إلى أن يُولَد حسب الجسد ل**كي يحولنا إليه، حتى ننال نحن الفاسدين والمائتين والمولودين من الجسد، ميلادًا جديدًا منه، وننال (بواسطة) الذي أخذه منا (الجسد) ما له هو.** وعن هذا قِيل "لأجلنا افتقر وهو الغني لكي نغتني نحن بفقره" (٢ كورنثوس ٨: ٩). **أمَّا هم (الهراطقة)، فعندما يؤكدون أنه ليس هو نفسه الكلمة من الله، وليس هو الذي صار جسدًا، ووُلِدَ ميلادًا جسديًا من امرأةٍ، يقضون تمامًا على التدبير، لأنه إن لم يكن هو الغني الذي افتقر، والذي وضع نفسه –حسب رحمته العظمى– ونزل إلى فقرنا، لكي ننال نحن الغنى الذي له، فإننا نظل في الفقر تحت اللعنة والموت والخطية. لكن الكلمة صار جسدًا، لكي يقضي على كل ما هو خاصٌّ باللعنة والعقوبة التي حلَّت بطبيعة الإنسان. لقد نزع الهراطقة جذورَ خلاصنا وطمروا ينبوع رجائنا، فما هي نتائج رفض التجسد؟ إن لم يكن الكلمة قد صار جسدًا، فكيف يتم القضاء على الموت والخطية؟ ألا نصبح نحن تحت سلطان خطايا الإنسان الأول آدم دون أن يكون لنا فرصة العودة إلى التجديد إلى ما هو أفضل في المسيح مخلصنا كلنا؟**

(ب) لقد فهمت الآن.

نتائج إنكار التجسُّد

(أ) وبالإضافة إلى ما ذكرناه، إذا أنكر إنسانٌ التجسُّد، فكيف يشرح قول الرسول: "اشترك في الدم واللحم مثلنا"، أي اشترك في طبيعتنا نحن؟ **ولا يستطيع أحدٌ أن يقول عن إنسانٍ محض إنه اشترك في الطبيعة الإنسانية لأن الطبيعة الإنسانية خاصة بكل إنسان. فكيف يشترك فيما يخصه؟ هل تقبل الشرح الذي قدمته الآن؟**

(ب) بكل تأكيد.

(أ) ألا تعتبر أنه تعليم غير مقدس وغير سليم، محاولة إنكار ميلاد الكلمة بالجسد من امرأة؟ ألا ترى أن هذا الإنكار يؤدِّي إلى إنكار أن جسده يُعطي الحياة؟ **وكيف يعطي جسده الحياة لنا ما لم يكن جسد ذاك الذي هو الحياة؟ وكيف "يُطهِّرُنا دمُ يسوع المسيح ابنه من كل خطية" (١ يوحنا ١: ٧)، إذا كان دم إنسان مثلنا تحت الخطية؟ وبدون التجسُّد، كيف يمكن أن يقال إن الله الآب أرسل ابنه مولودًا من امرأةٍ، مولودًا تحت الناموس لننال التبني" (غلاطية ٤: ٤)؟ أو كيف استطاع أن يدين الخطية بالجسد (رومية ٨: ٣)، إلَّا بأنه صار جسدًا، وهو الذي لا يعرف خطية، استطاع أن يبيد عبوديتنا للخطية. وبغنى صفات الكلمة الإلهي، اتحد بالجسد بطريقة لا يُعبَّر عنها، فصار قدوسًا ومعطيًا الحياة، وتميَّز بكل ما يتميز به الله من أعمالٍ تليق به. وتحوَّلنا في المسيح الذي صار باكورة الجنس البشري الجديد، إلى حياةٍ أسمى من الانحلال والخطية. وتم بذلك ما قاله المبارك بولس: "وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس صورة السماوي"، أي المسيح (١ كورنثوس ١٥: ٤٩).**

هذه الأسباب جعلت المسيح يُسمَّى "الإنسان من السماء"، ليس لأن جسده نزل إلينا من السماء ولكن لأن الله الكلمة نزل إلينا من السماء، وصار في شكلنا، أي وُلِدَ مثلنا بالجسد الذي أخذه من امرأةٍ، بينما ظلَّ كما هو، أي من فوق ومن السماء وفوق الكل، لأنه الله، حتى وهو في الجسد. وفي موضعٍ معيَّن] يقول

يوحنا الإلهي عنه: "الذي يأتي من فوق هو فوق الكل" (يوحنا ٣: ٣١)، لأنه ظلَّ ربَّ الكل حتى عندما صار تدبيريًّا في شكل العبد. وحقًا عجيبٌ جدًا سرُّ المسيح، وبالحق قال الله الآب على لسان واحد من الأنبياء لليهود: "انظروا أيها المتهاونون وتعجَّبوا واضمحلوا فإني أعمل عملًا في أيامكم لا تصدقونه إذا حدَّثكم به أحد" (حبقوق ١: ٥ – اعمال ١٣: ٤١). وسِرُّ المسيح معرَّضٌ لخطر عدم الإيمان به بسبب روعته. فالله أخذ الطبيعة الإنسانية وصار في شكلنا وقَبِلَ وضَعنا، رغم أنه أسمى من كل الخلائق، وغير المرئي صار مرئيًا في الجسد، والذي من السماء وفوق الكل، صار في شكلنا الترابي، وغير الملموس صار ملموسًا، والذي هو بطبيعته حُرٌّ، بل مصدر كل حرية، صار في شكل العبد. والذي يبارك كل الخليقة، صار لعنةً، بل حُسِبَ ضمن الخطاة وهو البار والكلي البر، والجسد الذي ذاق الموت لم يكن جسدَ شخصٍ آخر، بل جسد الابن الوحيد. فهل تجد خطأً في الأشياء التي ذكرناها عنه أم أن ما ذكرناه هو الصواب؟

(ب) ما ذكرته هو الصواب بكل تأكيد.

الفصل الخامس

لماذا وُلِدَ من عذراء بالروح القدس؟

(أ) يبقى لدي شيءٌ هام يجب أن أضيفه.

(ب) ما هو بالتحديد؟

(أ) قال المسيح في موضِعٍ معيَّنٍ: "ألم تقرأوا أنه في البدء خلقهما ذكرًا وأنثى" (متى ١٩: ٤)، والرسول بولس الإلهي يكتب: "ليكن الزواج مكرمًا عند الكل، الفِراش نقيٌ" (عبرانيين ١٣: ٤)، **فكيف استطاع الكلمة الابن الوحيد أن يدخل عالمنا متجسدًا؟ وكيف أخذ شكلنا بدون السماح للقوانين الخاصة بالطبيعة الإنسانية أن تظل سارية المفعول في ميلاده وتجسده؟ لماذا لم يأخذ جسده من زواج، فهو ليس ثمرة عرس، بل هو من العذراء الفائقة تجسَّد بالروح القدس،** حسب ما هو مكتوب "قوة العلي تظللك" (لوقا ١: ٣٥). فالله لم يحتقر الزواج بل حفظ له بركة خاصة، لكن لماذا عندما تجسد الكلمة الله من عذراء، تجسد بالروح القدس وليس من الزيجة؟

(ب) لا أعرف.

(أ) غريبٌ ألَّا يبدو هذا واضحًا لكل مَن يدرس الإيمان؟ **لقد جاء الابنُ وصار إنسانًا لكي يحوّل طبيعتنا فيه هو، وابتدأ أولًا بالميلاد الذي جعله مقدَّسًا وعجيبًا،** إذ جعله ميلادًا للحياة، فوُلِدَ هو أولًا من الروح القدس، وأنا أعني طبعًا جسده، لكي ننال نحن هذه النعمة، وتصل إلينا منه لكي نُولَد ليس من دمٍ ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله" (يوحنا ١: ١٣). **وبالروح القدس تولد نفوسنا ميلادًا جديدًا روحيًا، مشابهًا لميلاد ذاك الذي هو بالطبيعة وبالحق الابن، وبذلك ندعو الله أبًا.** ويؤهِّلنا هذا الميلاد الجديد أن نبقى في عدم انحلال **لأننا امتلكنا ليس طبيعة آدم الأول الذي فيه انحللنا، بل طبيعة آدم الثاني.** وحقًا قال المسيح مرةً: "لا تدعوا لكم أبًا على

الأرض لأن أباكم واحد وهو الذي في السموات" (متى ٢٣: ٩). ففيه هو قد وُلِدنا ميلادًا جديدًا عندما نزل إلى حالتنا لكي يرفعنا إلى كرامته الإلهية، ولذلك قال: "أنا صاعدٌ إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يوحنا ٢٠: ١٧). والآب الذي في السماء هو أبوه بالطبيعة، ولكنه هو إلهنا نحن، والابن يدعوه كذلك لأن الابن بالطبيعة وبالحق صار إنسانًا مثلنا. ويقول عن الآب إنه إلهه حسب إخلائه لنفسه، ولكنه أعطانا أيضًا أباه السماوي كآبٍ لنا كما هو مكتوب: "وأما كل الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أبناء الله أي الذين يؤمنون باسمه" (يوحنا ١: ١٢). أما إذا أنكرنا –بسبب جهلنا– ميلاد كلمة الله الآب بالجسد مثلنا، والذي صار "متقدِّمًا في كل شيء" (كولوسي ١: ١٨)، فعلى شبه مَن سوف نتجدَّد، وسوف نولد من الله بالروح؟ ومن سيصبح الباكورة بالنسبة لنا؟ ومن يستطيع أن يمنحنا كرامة البنوة [١]؟

(ب) أعتقد انهم سيقولون الكلمة المتجسد.

ما هو تجسُّد الكلمة؟

(أ) كيف تحقق التجسُّد، إلَّا إذا صار الكلمةُ جسدًا، أي إنسانًا، جاعلًا الجسدَ جسده باتحادٍ بلا افتراق لكي يكون فعلًا جسده وليس جسدَ آخرٍ سواه؟ **هكذا أعطانا نعمة البنوة، وأصبحنا نحن بذلك مولودين من الروح لأن فيه هو أولًا حصلت الطبيعة الإنسانية على هذا الميلاد الروحي**. وبولس الإلهي كان يفكر في نفس الموضوع فقال بكل صواب: "وكما لبسنا صورة الترابي، سوف نلبس صورة السماوي". وقال أيضًا "الإنسان الأول من التراب ترابي، والإنسان الثاني من السماء. ولكن كما الترابيون مثل الترابي، كذلك سيكون السمائيون مثل السمائي" (١كورنثوس ١٥: ٤٩ و٤٧ و٤٨).

---

(١) يقول القديس كيرلس: "هو يعطي طبيعة الإنسان ما يخصَّه لكي يسمح للطبيعة الإنسانية أن تنادي الله وتقول له: "أبا أيها الآب". هو نفسه أخذ كل صفات الطبيعة الإنسانية لكي ندعو الآب فيه ونقول له أيضًا: "إلهي". ولكن نحن لا ننكر عبوديتنا الطبيعية كمخلوقات، عندما ندعو الله بالآب، ولا يفقد الابن طبيعته الإلهية وكرامته عندما يتشبَّه بنا لكي يهنا صلاحه" (الكنز: ف ١٥).

ونحن ترابيون، فينا التراب من آدم الأول الترابي، أي اللعنة والانحلال اللذان بهما أيضًا دخل ناموس الخطية في أعضاء جسدنا. ولكن نحن صرنا سمائيين، وأخذنا هذا في المسيح، لأنه بالطبيعة الله، وهو الكلمة من فوق، أي من الله، ونزل إلينا متجسِّدًا بطريقةٍ فائقة. فوُلِدَ بالجسد من الروح، لكي يجعلنا مثله ونصبح قديسين وبلا فساد، وتنزل إلينا النعمة من فوق، **ويصبح لنا بدايةٌ ثانيةٌ وأصلٌ جديدٌ فيه.**

(ب) لقد شرحت حسنًا.

(أ) كيف يفهمون ويشرحون هذه الكلمات: "يشبه اخوته في كل شيء" (عبرانيين ٢: ١٧)، أي نحن البشر؟ أو بماذا يعتقدون عندما يسمعون أنه صار مثلنا؟ كيف يمكن أن نشرح هذه الكلمات إلَّا إذا اعتقدنا أنه له طبيعة مختلفة عن طبيعتنا، ثم صار بعد ذلك مثلنا. فالذي يصير مثل آخرين هو أصلًا وبكل تأكيد مختلفٌ عنهم، وله طبيعة مختلفة. فالابن الوحيد له طبيعة مختلفة عن طبيعتنا، ولذلك فقط قيل عنه إنه صار مثلنا، أي صار إنسانًا. وهذا حدث وتمَّ بطريقةٍ واحدةٍ فقط عندما وُلِدَ من امرأةٍ مثلنا، وإن كان ميلاده تمَّ بشكلٍ معجزي، لأن الذي تجسَّد هو الله. لكننا نعترف بأن الجسد الذي اتَّحد به كانت له نفسٌ عاقلة. فالله لن يترك هذا العنصر السامي فينا، أي النفس، ويأخذ الجسد الأرضي فقط، بل بحكمةٍ هيَّأ خلاص النفس والجسد معًا.

(ب) أوافق على ما شرحت لأنه صواب.

الفصل السادس

لماذا تسمى العذراء والدة الإله؟

(أ) إذا قال المقاومون من الهراطقة إن العذراء لا يجب أن تدعى والدة الإله، بل أُم المسيح فقط، فإنهم بهذا القول يجدِّفون علنًا، وينكرون أن المسيح هو الإله والابن. ولكن إذا آمنوا فعلًا أنه بالحقيقة الإله وأنه الابن الوحيد الذي صار مثلنا، فلماذا يرتجفون خوفًا من اسم العذراء التي حملته وولدته حسب الجسد، فصارت تدعى والدة الإله؟

اعتراضات النساطرة:

(ب) لقد تذكرت أن اسم المسيح يعني "الممسوح بالروح القدس"، أي يخصُّ ذاك الذي وُلِدَ من امرأةٍ من نسل داود، أمَّا الكلمة فهو غير محتاج لأنه الإله الذي يعطي نعمة المسحة، كما أنه بطبيعته قدوس، فإن كان اسمُ المسيحِ يعني أن نوعًا من المسحة قد حدث له، فكيف لا نُسمِّي العذراء أُم المسيح؟

(أ) لقد ذكرتَ الصواب، لأنه بسبب هذه المسحة وحدها دُعِيَ يسوع بهذا الاسم "المسيح". والذين أُرسِلوا من الله دُعُوا بسبب إرساليتهم رسلًا، وكذلك الملائكة دُعُوا ملائكةً بسبب الخبر المفرح (الإنجيل)[١]. وهذه الأسماء تحدد الأعمال والمسئوليات التي أُسندت إلى هؤلاء دون أن تحدد طبيعة هؤلاء الأشخاص. وحتى الأنبياء دُعُوا "مسحاء" حسبما يرنم المزمور: "لا تمسوا مسحائي" (مز ١٠٥: ١٥)، وحبقوق النبي يقول: "خرجت لخلاص شعبك لخلاص مسحائك" (٣: ١٣). ولكن خبِّرني، هل يعترفون بأن الابن الوحيد كلمة الله هو المسيح الواحد، وهو نفسه الابن والرب المتجسِّد الذي صار إنسانًا؟

---

(١) يفسر القديس كيرلس اسم ملاك angelos من الفعل اليوناني: يبشِّر.

(ب) ربما يقولون ذلك، لكنهم يعلنون أن اسم المسيح لا يخصَّ الكلمة المولود من الله الآب، لأنه لم يُمسَح كإله، ولكنهم يضيفون أن اسم المسيح لا يمكن أن يُستخدَم في الكلام عن الآب والروح القدس، وبالتالي لا يجب أن يُستخدَم في حديثنا عن الابن.

(أ) هذه عبارات غير واضحة وغير محددة وحسنًا تفعل إذا شرحتها لي.

(ب) انصت جيدًا، إن أيَّ إنسان يمكنه أن يرى بكل وضوح أن الابن دُعيَ في كل الأسفار التي أوحى بها الله: "الرب" و"الله" و"النور" و"الحياة"، بالإضافة إلى "الملك" و"رب الجنود" و"القدوس" و"ضابط الكل". ومَن يريد، يمكنه إن شاء أن يستعمل ذات الألقاب الإلهية للآب والروح القدس، وهو لا يخطئ لأن الأقانيم الثلاثة جوهر واحد وكرامة واحدة. ولكن اسم المسيح لا يمكن أن يُستخدَم للآب أو الروح القدس، وبالتالي لا يمكن استخدامه للابن الوحيد الأقنوم الثاني، طالما أنه لا يمكن استخدامه للآب أو للروح القدس. وهذا يعني أننا نستخدمه فقط لمن وُلِد من نسل داود، فهو وحده الذي مُسِحَ بالروح القدس، وبهذا يصبح اعتقادُنا صحيحًا.

الرد على الاعتراضات النسطورية:

(أ) نحن أيضًا نقول إن الأسماء الإلهية خاصةٌ بالآب والابن والروح القدس، لأن لهم ذات المجد الواحد. كما أننا نتوّج الابنَ المولود من الآب مع الآب والروح القدس. ولكن يا صديقي المحترم، إن اسم المسيح يعبِّر عن حقيقةٍ هامةٍ، وهي المسحة، وهي مِن خواص إخلاء الذات الذي حدث للابن الوحيد فقط. وخواص الإخلاء تعطي لكل مَن يسمعها البراهين على أن الذي تجسَّد هو الابن فقط، ولما تجسَّد مُسِحَ لأنه صار إنسانًا. وهذا معروفٌ تمامًا لكل مَن يفحص عن تدبير التجسد. ولكن مَن يفترض أن يدرُس ما جاء في الأسفار عن الابن الوحيد وكأنه لم يتجسد ولم يُخل ذاته، فهو يفترض بالتالي أن الابن لا يُدعى المسيح. فاسمُ المسيحِ خاصٌّ بتواضع التجسد، وهو سببُ قَصِر استعمال هذا الاسم للابن فقط. أليس هذا تحقيرًا له أن ندعوه المسيح وهو لم يُمسَح بالمرة؟ أمَّا إن

قالت الأسفار المقدسة إنه "صار جسدًا"، فان المسحة تخصَّه وهو في الجسد، وحقًا قال بولس الحكيم جدًا: "لأن المقدِّس والمقدَّسين كلاهما من أصلٍ واحدٍ، لهذا لا يستحي أن يدعوهم إخوةً قائلًا: "أُخبرُ باسمك اخوتي" (عبرانيين ٢: ١١-١٢). فالمسيحُ تقدَّس معنا وبسببنا لأنه صار مثلنا.

هو حقًا الابن الوحيد الذي مُسِح عندما تجسَّد وصار إنسانًا كاملًا، وعنه شَهِدَ داود قائلًا: "عرشك يا الله إلى دهر الدهور. صولجان استقامةٍ صولجان ملكك، أحببتَ البر وكرهتَ الاثم، لذلك مَسَحَك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك" (مز ٤٥: ٦ – ٧). كيف نفهم أنه قال أولًا إن الله له العرش إلى الأبد، ثم قال ثانيةً عندما أضاف إن الله أي الآب مَسَحَه، واختار أن يمسحه بمسحةٍ أفضل من الذين يشتركون فيه، أي نحن البشر. فإذا كان الابن قد صار جسدًا، إلَّا أنه هو الله الذي لم يفقد أي صلاحٍ يخصُّ طبيعته لأنه هو نفسه الكمال "مملوءً من النعمة والحق" (يوحنا ١: ١٤). هو كاملٌ في كل ما يخص لاهوته، ولذلك "مِن ملئه نحن جميعًا أخذنا" (يوحنا ١: ١٦). ولكن عندما تجسَّد لم يفقد أيَّ خاصيةٍ من خواص لاهوته، وقَبِلَ كلَّ ما يخص الطبيعة الإنسانية. هو نفسه دُعيَ المسيح، رغم أننا نعتقد أنه لم يُمسَح كإلهٍ، وإلَّا كيف يمكن أن نعتقد أنه المسيح والابن والرب، لو كان الابن الوحيد قد رَفَضَ المسحة، ورفض أن يقبل كل ما هو خاصٌّ بالإخلاء.

الفصل السابع

التجسُّد هو اتحادٌ بين اللاهوت والناسوت، وليس صلةً أو مصاحبةً أو علاقةً .. الخ

(ب) يسلك الهراطقة طريقًا مختلفًا عن طريقنا، ويفسِّرون سِرِّ التقوى بدون فَهمٍ لأنهم يقولون إن [الله الكلمة قد اتخذ ناسوتًا كاملًا من نسل إبراهيم وداود حسبما أخبرت الكتب المقدسة. وهو لا يختلف عن كل البشر الذين جاء هو من نسلهم. هو إنسانٌ كاملٌ له نفسٌ عاقلةٌ وجسد. هو إنسانٌ مثلنا كوَّنه الروح القدس في أحشاء العذراء، ووُلِدَ من امرأةٍ تحت الناموس لكي يفتدي الذين تحت الناموس (غلاطية ٤: ٤-٥). ولكنه قَبِلَ بنوَّتَه لله، وهي البنوَّة التي أُعِدت له من قبل، وذلك بطريقة جديدة مختلفة عن باقي البشر تمَّت بينه وبين لاهوت الابن الكلمة مصاحبةً، فأعدَّه لكي يتألم -كما يتألَّم البشر- وأقامه من الأموات، وأخذه معه إلى السموات، وأجلسه عن يمين الله. وهو هناك الآن، فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط، بل وفي الدهر الآتي أيضًا" (افسس ١: ٢٠-٢٢). وهو يقبلُ العبادة التي تُقدَّم له من كل الخليقة لأنه التصق بالطبيعة الإلهية بدون افتراق، ولذلك تقدِّم له كل الخليقة العبادة، ولكن بطريقة غير مباشرة. ويقول الهراطقة أيضًا: [لا يوجد إبنان ولا ربَّان، بل حيث أن الله الكلمة والابن الوحيد للآب اتصل به هذا الإنسان المولود من مريم، صار هذا الإنسان يشترك في الاسم وفي كرامة الابن، أمَّا الله الكلمة، فهو يشاركه في كرامة الربوبية فقط]. ويؤكدون قائلين: [لا يوجد إبنان ولا ربان، لأن الذي هو بالطبيعة الرب والابن -من أجل خلاصنا- اتصل به اتصالًا، لا افتراق فيه، أي أنه يُحسَب مع الابن الوحيد في اسم وكرامة البنوة والربوبية].

(أ) يا للهول، يا للحماقة، يا للفكر المضطرب والخيال الجامح. إن ما ذكرته ليس إلَّا الكفر بعينه ولا شيء غير ذلك. إنه اختراعٌ مضادٌ للإيمان ومضادٌ للتعليم الإلهي

المقدس الذي سُلِّم إلينا مرةً، والذي نعترف به قائلين: "نؤمن بربٍّ واحدٍ يسوع المسيح ابن الله". الكلمة الذي من الآب، الذي هو نفسه تجسَّد وهو نفسه إلهٌ وإنسانٌ وله وحده –الواحد بعينه– ما يخصُّ الله وما يخصُّ الإنسان. هو الكائن منذ الأزل لأنه الله الذي جاء ووُلِدَ في الزمان جسديًا من امرأةٍ. للواحد نفسه الأزلية، وهو نفسه الذي في آخر الزمان وُلِدَ حسب الجسد، وهو نفسه بالطبيعة قدوسٌ كإله، ولكنه تقدَّس معنا عندما صار إنسانًا. وإليه كإنسانٍ، يمكن أن ننسب التقديس. هو واحدٌ في رتبة الربوبية. ولكنه اتخذ لنفسه صورة العبد، وفيه (صورة العبد) نادى الآب وقال: "إلهي". هو الحياةُ ويعطي الحياةَ كإلهٍ. ولكن قيل إنه أُقيم من الأموات بواسطة الآب، لأنه تجسَّد. كلُّ الأشياء له، وهو لا يحتقر التدبير الذي يمدحه الآبُ نفسه، لأن الرسول بولس يقول الحق في موضعٍ معيَّنٍ: "الذي لم يعرف خطيةً، جُعِلَ لأجلنا خطيةً لكي نصير نحن بر الله فيه" (كورنثوس ٥: ١٢). وأيضًا "الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا لكي يعطينا معه كلَّ الأشياء" (رومية ٨: ٣٢). ألا يتفق ما نقوله مع ما تعلنه الأسفار؟

(ب) بكل تأكيد.

الرد على الاعتراضات النسطورية وشرح الاتحاد

(أ) ولكن إذا كان الهراطقة يقولون ويتمسَّكون بالقول بأن الابن الوحيد كلمة الله أخذ من نسل داود وابراهيم إنسانًا، وأنه كوَّن هذا الإنسان في أحشاء العذراء القديسة مريم، ثم تَصاحَب مع هذا الإنسان، وجعله يتذوق الموت ثم أقامه من الأموات وأصعده إلى السموات، وأجلسه عن يمين الآب. إن صحَّ هذا، فإن كل ما قاله الآباء القديسون والكتب المقدسة عن التجسُّد يصبح لغوًا وبلا معنى أيضًا. وأنا أظن أنه من أجل هذا التعليم الملتوي كتب يوحنا الحكيم: "والكلمة صار جسدًا" (يوحنا ١: ١٤). أمَّا تعليم الهراطقة، فقد حوَّلَ سر التدبير، أي التجسد إلى ما هو عكس التجسد تمامًا، لأنه لا يستطيع أيُّ إنسانٍ أن يرى أن الكلمة الذي بطبيعته الله، والذي وُلِدَ من الله الآب، قد قَبِلَ الإخلاء، وأخذ شكل العبد ووضع نفسه، بل يرى العكس، وهو أن إنسانًا قد ارتفع

بواسطةِ مُصاحَبةٍ إلى مجد الألوهية الفائق، الذي هو فوق كل شيء وأخذ مكانة الله وارتفع وجلس مع الآب في الأعالي، أليس هذا الاستنتاجُ صحيحًا؟

(ب) نعم.

(أ) وإذا صحَّ ادعاءُ الهراطقة بأن الابن الوحيد لم يحتقر التدبير، أي التجسُّد، فما هو العار الذي احتمله؟ كيف أطاع الآب حتى الموت موت الصليب (عبرانيين ١٢: ٢ – فيلبي ٢: ٨)؟ وإذا اقترن الابنُ بإنسانٍ وقدَّمه إلى اختبار الموت، ثم أصعده إلى السموات وأجلسه عن يمين الآب، فما هو عرشه؟ وإذا قالوا: "ليسا ابنين بل ابنٌ واحدٌ يجلس مع الآب، فمَن هو ذاك؟ الذي من نسل داود، أم الواحد مع الآب في الجوهر؟ وكيف –إذا صحَّ تقسيم الواحد إلى اثنين– يتم خلاص العالم؟ ثم ذاك الذي مِن نسل داود، ويجلس معه، مَن هو؟ هل هو مخلِّص أم مجرد مثال للاستعلاء والتعدي الإنساني على المجد الإلهي، ويبقى رغم كل ذلك مجرد إنسانٍ به خلُصنا؟ هذه الاختراعات لا تخص بالمرة ذاك الذي به كمال الناموس والأنبياء، **لأن الناموس يعلنُ سِرَّ المسيح** الذي سبق فأخبر به موسى (يوحنا ٥: ٤٦) **و"الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح"** (غلاطية ٣: ٢٤). ولكن مصاحبة اللاهوت للناسوت لا تؤدِّي بنا إلى شيء، بل هي فارغة وبلا قيمة، بل تعني نهاية ذلك السر الملوكي الذي فَتَحَ لنا بابه بولس: "لا تقل في قلبك مَن يصعد إلى السماء، أي لكي يُحدِر المسيح، أو مَن ينزل إلى العمق أي لكي يُصعِد المسيح من بين الأموات، لكن ماذا يقول؟ الكلمة قريبة في فمك وفي قلبك، أي كلمة الإيمان التي نكرز بها، لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع المسيح وآمنت بقلبك أن الله أقامه مِن بين الأموات خلُصت" (رومية ١٠: ٦–٩). وكيف يكون سِرُّ التقوى عظيمًا ومستحِقًا للإعجاب، ويذاع في العالم، إذا كنّا نؤمن بالأقوال المكتوبة التي يحرِّفُها الهراطقة مُدَّعين بأن إنسانًا قد اتصل بكل عارضٍ[1] بالله الكلمة، ثم مات وقام وصعد إلى السموات. هذا

---

(١) بطريقة غير جوهرية.

ليس تعليمًا مسيحيًا، بل نوعٌ من الخرافات اليونانية القديمة[١]. ولذلك، إذا لم يكن الابن الله قد اتحد بالناسوت، بل حدث مجردُ اتصالٍ بين الكلمة وإنسان، ثم كافأ الابنُ بعد ذلك هذا الإنسان الذي اتصل به، وأعطاه عرش الأُلوهية، حيث يقف لخدمته الملائكة ورؤساء الملائكة والساروفيم، وهؤلاء أعلى في الرتبة من الإنسان الذي كافأه الابن بعرش الأُلوهية، فهل يليقُ أن يقف هؤلاء لخدمته وهو مجرد إنسان، وليس الابن الإله الحقيقي، بل مجرد إنسان صار غنيًا بسبب اسم البنوة الذي ناله واشترك فيه، وهو أصلًا ليس له، بل هو مثلنا **نحن الذين أخذنا نصيبًا**[٢] **في الكرامة الإلهية**، ألا يخجل هؤلاء الهراطقة من هذه الادعاءات؟ ألا يعتبر تعليمهم مملوءً بالكفر التام والتجديف؟ إن ما يناله المخلوق كنعمة يمكن أن يفقده. وما يُوهَب من الخارج وليس له أصلٌ في الطبيعة المخلوقة قابلٌ للضياع. بهذا يمكننا أن نكمِّل الرد وتفنيد التجديف والتقسيم الذي اخترعوه. **لماذا يُنزِلون كرامة التدبير إلى شيءٍ بلا قيمة وبلا فاعلية؟** لماذا يجعلون الخدمة الإلهية (القداس) المقدسة هي عبادةُ إنسانٍ بسيطٍ مثلنا، أخذ كرامةً من الابن الحقيقي؟ هل يرغب هؤلاء في اقناعنا بأن نعبد واحدًا مثلنا، ليس له سوى صلة عارضة بالابن الكلمة؟ وهل هذا يعتبر فوق كل رئاسة وسلطان وربوبية؟ إن جُرم هذه الخدعة والتجديف لا يلتصق فقط بالذين على الأرض، بل أيضًا بالكائنات الملائكية السماوية العاقلة، لأنهم يشتركون معنا في عبادة ذاك الذي ليس بطبيعته الابن الحقيقي والكلمة المولود من ذات جوهر الله الآب. لقد تجسَّد فعلًا، ولم يتصل بإنسانٍ من نسل داود، بل هو بذاته صار إنسانًا ولم يحدث أن اتصل الكلمةُ بآخر وأعطاه صورة الألوهية بشكلٍ عارضٍ دون أن تكون الألوهية الحق.

---

(١) تأليه أبطال الحروب أو الملوك، وما إليه.

(٢) استخدم القديس كيرلس الكلمة eiskekrimenos وتعني النصيب أو الميراث الإنساني في كرامة اللاهوت أي الحياة الإلهية. هذا النصيب لا يخص الطبيعة الإنسانية، بل هو غريبٌ عنها تمامًا، ولذلك يُعطى لها كهبةٍ من الله. والنقطة الأساسية هنا هي: إذا كان يسوع المسيح مجرد إنسان فقط نال صلةً بالله الابن الوحيد، فإن هذه الصلة هي مجرد منحة قابلة للزوال، وهذا ينفي أبدية خلاص الذين يؤمنون بيسوع المسيح.

تعارُض النسطورية مع ليتورجية الكنيسة

(ب) إنهم يقولون ويعتقدون إنه إنسانٌ منفصلٌ عن الكلمة، إلَّا أنه ينال العبادة من كل الخليقة بسبب صلته بالله الكلمة.

(أ) إذن خبِّرني، ما هي هذه الصلة أو العلاقة بالله؟ كيف نعتقد بوجود هذه الصلة ونحدِّدُها بشكلٍ واضح؟ إذا عُدنا إلى الأسفار الإلهية وفحصناها، سوف نجد فيها الحلول لكل المشاكل التي تصادفنا في هذا الموضوع. وعلى سبيل المثال، عندما تمرَّد الإسرائيليون على الله مرةً، وهاجموا موسى وهارون بكل مرارة، عند ذلك خاطبهم موسى: "مَن هو هارون حتى أنكم تتذمرون عليه؟ لأنكم لا تتذمرون علينا بل على الله" (عدد ١٦: ١١ خروج ١٦: ٨). وكانوا في الواقع يخطئون ضد موسى وهارون، ولكن هذه الخطية كانت موجَّهةً أيضًا ضد المجد الإلهي، وكانت دوافع هؤلاء الخطاة المتذمرين لها "علاقة" بالمجد الإلهي، إلَّا أن موسى وهارون لم يكونا آلهةً، ولا عَبَدتهم الخليقة بسبب علاقتهم بالله. كان الله يملك على إسرائيل حسب الجسد، بواسطة الأنبياء، إلَّا أنهم جاءوا وقالوا لصموئيل المبارك: "اجعل لنا مَلِكًا يملك علينا مثل الأمم" (١ صموئيل ٨: ٥). وهذا النبي الذي لبس الروح حَزَن جدًا، وكان لديه سببٌ قوي للحزن إلَّا أنه سمع الله يقول: "إنهم لم يرذولك بل إياي رذلوا" (١ صموئيل ٨: ٧). وهنا نرى كيف تم رفض الله، وكيف أن لهذا "الرفض" علاقةً بالله. وحقًّا يقول المخلِّص وربُّ الكل نفسه مشيرًا إلى المحتاجين: "كل ما فعلتموه بأحد هؤلاء الأصاغر المؤمنين فبي قد فعلتم" (متى ٢٥: ٤). فهل هم يقصدون هذا النوع من العلاقة أو الصلة؟ وهل هذا المعنى ذاته ينطبق على القول: كل مَن يكرم الذي مِن نسل داود يكرم الابن؟ وإذا لم يؤمن أحدٌ بالذي من نسل داود يخطئ ضد مَن بالطبيعة الابن. فإذا صحَّ تفسير الهراطقة لهذه العلاقة والصلة على النحو الذي ذكرته، فكيف لا تجعل هذه الصلة ابن داود على قدم المساواة مع ابن الله، طالما أننا إذا آمنا بابن داود، آمنا بابن الله وطالما أننا إذا أكرمنا ابن داود أكرمنا ابن الله. إلا يصبح هذا المخلوق إلهًا جديدًا (مزمور ٨١: ٩ س) له بهاء اللاهوت فقط، بل قد أُضيفَ إلى الثالوث الواحد في الجوهر، وهو في الحقيقة له طبيعة مخلوقة ومختلفة وغير

مساوية للاهوت؟ وكيف يصبح هذا الذي له علاقة يُعبَد مع الطبيعة الإلهية؟ بل يشترك معها في المجد الذي يقدم لها من المخلوقات؟

الصلة أو العلاقة خاصةٌ بنا وليست خاصةً بالابن المتجسد

(ب) يقول الهراطقة أيضًا: إننا يمكن "بالإشارة" إلى مَن هو مِن نسل داود أن نراه غير منفصل عن الله الكلمة، وأن نعبد الله الكلمة الذي اتصل به.

(أ) يكفينا أن ندرك خطأ هذه الفكرة في استحالةِ أن يصبح المجد الذي يليق بالله –والذي هو فوق كل الخليقة– خاصًّا بالناسوت في حالة الصلة والعلاقة فقط. وكيف يصبح مَن هو ليس إلهًا مركز العبادة؟ يقول صاحب المزامير وقيثارة الروح القدس موجِّهًا كلامه لله: "نفسي قد التصقت بك" (مزمور ٦٣: ٨). والرسول بولس يكتب هو أيضًا: "مَن التصق بالرب فهو روح واحد" (١ كورنثوس ٦: ١٧). فهل يمكن أن يصبح داود أو أي واحد منّا مركزًا للعبادة وأن نعبدهم لمجرد أنه توجد "إشارة" بأنهم التصقوا بالله؟ لكنني أعتقد أن كلمة "التصق" لها معنىً أعمق أكثر قوة من "اتصل"، لأن الالتصاق يعني علاقة مباشرة.

(ب) أعتقد ذلك.

ضرورة استخدم تعبير "الاتحاد" في كلامنا عن التجسد

(أ) لماذا نُسقِط كلمة "اتحاد"، وقد استخدمها الآباء القديسين؟ وإذا كان الآباء لم يستخدموا كلمة "صلة" مطلقًا، فلماذا نستخدمها نحن؟ وكلمة "اتحاد" لا يمكن أن تفقد قوتها أو معناها الدقيق، لأنها تعني: اتفاق أو ملائمة عنصرين في اتحادٍ يجعلهما واحدًا. الواحدُ البسيط لا يُوصَف بأنه متَّحد، بل الواحد المركَّب من اثنين أو أكثر من عناصر مختلفة هو الذي يمكن أن يقال إنه في اتحاد.

هكذا يجب أن يفكِّر ويشرح كلُّ مَن هو قادرٌ على تفهُّم هذه الأمور. والشر كله هو الكلام الذي يقوله الهراطقة، والذي يؤدي إلى تقسيم الواحد إلى اثنين، أي ما هو بالحق وبالطبيعة الابن المتجسِّد الذي صار إنسانًا. وعندما يرفض الهراطقةُ الاتحادَ ويُسمُّون الاتحاد "صلةً"، فَهُم يتحدثون عن البشر الذين توفرت لهم علاقة بالله، فالكل يجتمع Syndoumenos في الله بالفضيلة والقداسة، حسبما ذكر واحدٌ من الأنبياء عن الذين يرتدُّون عن الله بسبب الإهمال: "تجمعي واجتمعي معًا، أيتها الأمة غير المستحية، يا مَن تصبحون مثل الدقيق الذي تذرِّيه الرياح" (صفنيا ٢: ١). والتلميذ يمكن أن يقال إنه يجتمع ويتصل بمعلمه عن طريق محبة التعليم. ونحن أيضًا يتصل كلٌّ منّا بالآخر بعدة طرق مختلفة مثل الذي يعمل مساعدًا لشخص آخر. فهو متصلٌ بهذا الآخر بحسن النية والإرادة الصالحة بالذي طلبه كمساعد.

وفي ضوء ما ذكرته، نرى أن كلمة "صلة" معنوية وأن الهراطقة اخترعوها لأنها تخدم تعليمهم عن الله الكلمة الذي اتصل واتَّخذ إنسانًا وجعله ابنًا وأقامه "مساعدًا" ينفِّذُ إرادته، لا سيما في الموت والقيامة. وبعد ذلك يصعد هذا المساعد إلى السموات عينها، ويجلس على العرش الإلهي غير الموصوف! ألا يقضي هذا الشرح على التجسُّد؟ وألا يُعتَبر الكلام عن مساعدٍ له صلة بالكلمة، هو دعوةً إلى اعتباره آخر غير الابن المتجسِّد الذي هو بالطبيعة ابن الله؟

(ب) بكل تأكيد.

الرد على تعليم نسطور عن التجسد

(أ) وحيث أنهم انزلقوا إلى هوة عدم المعرفة إلى درجة أنهم يقولون إن الابن الوحيد الله الكلمة، ليس هو نفسه الذي تأنَّس وصار مثلنا، بل اتخذ إنسانًا فقط. فما هي عقيدتهم التي يطلبون منّا الإيمان بها؟ وما هو الهدف الذي يمكن أن يحققه الكلمة من اتخاذه إنسانًا يُنفِّذ مشيئته؟ وما هي هذه المشيئة؟ هل هي التعليم فقط، والذي ينطبق

على ما قاله النبي القديس: "لم أكن نبيًّا ولا أنا ابن نبي، بل أنا راعي وجامع للجميز، فأخذني الرب من وراء الغنم، وقال لي اذهب تنبَّأ لشعبي إسرائيل" (عاموس ٧: ١٤-١٥). وهكذا أقام الله الراعي نبيًّا وخادمًا لمسرته.

"أخذ" تعني "اتَّحد"

(ب) ربما قالوا إن الابن أخذ إنسانًا ليس من نفس طبيعة الابن، وإنما استخدم مَن له صورة العبد لكي ينفذ مشيئته.

(أ) إن مَن يأخذ شيئًا يصبح هذا الشيء ملكًا له، وهكذا بالنسبة للابن، عندما تجسَّد اتحد بما أخذه اتحادًا بلا افتراق. لذلك، يسوعُ هو الإله والابن الواحد الوحيد، إلهٌ حق، لأنه الكلمة الذي من الله الآب، والمولود منذ الأزل، وقبل كل الدهور، وفي الأيام الأخيرة وُلِدَ هو نفسه من امرأةٍ ميلادًا جسديًا، ولم يكن آخر الذي وُلِد، وإنما هو ذاته الذي كانت له صورة العبد عندما تجسَّد.

(ب) هل يمكن أن تشرح هذا الكلام؟

الفصل الثامن

تناقض النسطورية مع نفسها يظهرُ في أن من أخذ صورة العبد لا يمكن أن يكون أصلًا عبدًا

(أ) أخبرني كيف يمكن أن يقال عمَن هو خاضعٌ فعلًا كعبدٍ إنه أخذ صورةَ عبدٍ، أليس هذا تناقضًا؟ وأليس الصوابُ أن يُقال إن الذي هو بالحقيقة حُرٌّ وجوهره فوق كل أشكال العبودية هو الذي أخذ صورة العبد؟

(ب) الحُرُّ وحدُهُ هو الذي يمكن أن يُوصَف بأنه صار في صورة العبد، ولا يصح بالمرة أن يقال إن مَن هو عبدٌ صار في صورة العبد.

الفرق الأساسي بيننا وبين المسيح:

(أ) ويمكن أن نتأكد مما ذكرناه الآن، إذا تذكَّرنا أن الابن الوحيد الكلمة الذي من الله، عندما تجسَّد وصار إنسانًا مثلنا، قَبِلَ كل أوضاع العبودية كإنسان. وقد شَهِدَ هو نفسه بأنه ليس عبدًا، بل ابنًا حُرًّا عندما قال لبطرس عند دفع الجزية عنه: إن "البنين أحرارٌ" (متى ١٧: ٢٦). ولما أخذ صورة العبد، قَبِلَ كل نتائج إخلاء الذات (فيلبي ٢: ٧)، دون أن يحتقر ما يخصُّنا، لأنه لم يكن ممكنًا أن يُكرِم العبيد من البشر، ما لم يصبح ما يخصُّ العبيد خاصًّا به، حتى نغتني بالمجد الذي له. وما هو ممجَّد، له الرئاسة والدوام، أمَّا العار الذي يخص عبوديتنا نحن، فقد أزاله فيه. فالذي هو فوق كلِّ شيءٍ صار مثلنا، والحُرُّ بالطبيعة صار في وضع العبيد، حتى ننال نحن الكرامةَ فيه، ونُدعى فيه أبناءَ الله، ويصير الله آبًا لنا، وهو بالطبيعة أبُ الابن الوحيد. وكلُّ ذلك تحقق فعلًا، عندما أخذ ما يخصَّنا، أي إنسانيتنا. وعندما نقول إنه أخذ صورة العبد، فنحن نقول إن هذا هو سِرُّ التدبير الذي تم في التجسُّد. وإذا كان الاعتراف بالابن الواحد والرب الكلمة الذي من

الله الآب يعني أنه اتصل فقط بإنسانٍ من نسل داود، وصار -بسبب الاتصال- شريكًا في بنوة الابن الوحيد ومجده، فإن هذا ليس اعترافًا بالإيمان، بل مناسبةً نحزن فيها على هؤلاء كأصدقاءٍ لنا، بل يحق لنا أن نقول: "يا ليت رأسي ماء وعيني دموع فأبكي نهارًا وليلًا" (أرميا ٩: ١). لقد اختاروا فكرًا طائشًا جعلهم "ينكرون الرب الذي اشتراهم" (١ بطرس ٢: ١)، وهذا لأنهم يعلِّمون بابنين كلٍّ منهما غير مساوٍ للآخر في الطبيعة، وهو ما يجعل العبد يصبح في النهاية متوَّجًا بالمجد الذي يليق بالله، وابنًا كاذبًا يُمجَّد بالمجد الذي يليق بالطبيعة الإلهية مع ذاك الذي هو بالحقيقة ابنٌ. وهذا ما لا يتفق مع قول الله: "مجدي لا أعطيه لآخر" (اشعياء ٤٢: ٨). وكيف ننكر أن مَن هو عبدٌ ليس مثل الذي هو بالطبيعة الابن الحقيقي، طالما أنه ينال التكريم بالصلة فقط التي جعلته مجرد "مساعد"، وهي الصلة التي مَنَحَت له البنوة مثلما يحدث معنا، عندما نصير شركاء المجد الذي نأخذه من آخر، وهو ما نصل إليه بالعطية والموهبة.

المسيح واحدٌ من اثنين؛ لاهوت وناسوت

(ب) إذن يجب علينا أن لا نقسِّم عمانوئيل إلى إنسانٍ منفصلٍ عن الله الكلمة.

(أ) بكلِّ صوابٍ لا يجب، وأنا أؤكد أنه يجب علينا أن نقول إنه هو الله المتجسِّد، وإنه هو في نفس الوقت واحدٌ من اثنين، فهو لم يتوقَّف عن كونه الله، عندما تجسَّد، وفي نفس الوقت لم يرفض التدبير، ويرذل الوضع الخاص بالإخلاء.

الاتحاد لا يعني مساواة اللاهوت بالناسوت

(ب) وهم يقولون أحيانًا إن الاتحاد يعني أن الناسوت صار مساويًا للكلمة لأن مساواة الجسد بالكلمة هو الذي يجعله فعلًا الابن الواحد الوحيد.

(أ) كيف يمكن الوصول إلى هذا الاستنتاج الخاطئ، أليس هذا دليلًا على إيمانٍ غير ثابت؟ وكيف يستطيع إنسانٌ أن يرى طبائع الأشياء وقد امتزجت إلى الحدِّ الذي يصبح فيه

اللاهوت والناسوت واحدًا؟ إننا نعتقد بأن اللاهوت ليس هو الناسوت، وإلَّا كيف يحدثُ اتحادٌ بينهما؟ إذ لا يقدرَ أحدٌ أن يقول عن الأشياء التي لها طبيعة واحدة إنها اتحدت، أمَّا الأشياء المختلفةُ طبائعُها، فهي التي تتحد، ويمكن أن يقال إنها واحدٌ أو اثنان أو اكثر.

الاتحاد لا يعني الامتزاج

(ب) هم يقولون إنه أن حدث اتحادٌ، فيجب علينا أن نعطي كلَّ طبيعةٍ على حدة اسمًا مختلفًا عن الطبيعة الأخرى.

(أ) بل علينا أن لا نقسِّم أو نفصِّل في الأسماء حتى لا يصبح لدينا اثنان مفترقان، بل علينا أن نعتقد أنهما في اتحادٍ بلا افتراق، لأن يوحنا يقول: "الكلمة صار جسدًا".

(ب) ولكن هذا يعني أنهما اختلطا وصارا طبيعةً واحدةً.

(أ) هذا شرودٌ فائق! ومَن هو الذي يفترض هذا الافتراض إلَّا الذي لم يتعلم الإيمان، لأن الطبيعة الإلهية لله الكلمة لا يمكن أن تتحول إلى ناسوت، أو أن الجسد يتغير إلى طبيعة الله الكلمة نفسه. ولكننا نقول: واحدٌ هو الابنُ، وواحدةٌ هي طبيعته، رغم اعتقادنا بأنه أخذ جسدًا ذا نفسٍ عاقلةٍ، لأن الناسوت صار ناسوته هو، ونحن لا نعتقد بغير ذلك، بل نؤمن بأنه الله المتأنس.

الاتحاد يعني أن المسيح واحدٌ من طبيعتين:

(ب) إذن لا يوجد طبيعتان؛ إلهية وإنسانية.

(أ) اللاهوت غير الناسوت، بل هما مختلفان تمامًا، وكلٌّ منهما له طبيعته وكيانه الخاص به، ولكن في المسيح اتحدا بأسلوبٍ لا يمكن التعبير عنه **بدون اختلاط ولا تغيير، بل باتحادٍ يفوق الإدراك.**

(ب) وكيف يمكن أن يكون المسيح واحدًا من اثنين، أي من اللاهوت والناسوت؟

(أ) هذا سِرٌّ فائقٌ تم فيه اتحادٌ لا يُدرَك بلا افتراقٍ بين اللاهوت والناسوت، وهو ما يجعل المسيحَ واحدًا.

(ب) هل يمكنك أن تعطي مثالًا على ذلك؟

(أ) ألا نقول نحن إن أيَّ إنسانٍ منّا هو واحدٌ، وله طبيعة إنسانية واحدة، رغم أن طبيعته ليست بسيطة، وإنما مركَّبةٌ من اثنين؛ أي النفس والجسد؟

(ب) نعم نحن نعتقد بذلك.

(أ) وهل يمكننا أن نفصل الجسد عن النفس المتحدة به، ونقسِّم الشخص الواحد (الأقنوم) إلى اثنين، ألا نلغي بذلك وحدة الإنسان؟

(ب) لكن ما معنى قول بولس الرسول الحكيم جدًا: "وإن كان إنساننا الخارجي يفنى، فالداخل يتجدد كل يوم" (٢ كورنثوس ٤: ١٦)؟

(أ) حسنًا تكلمت لأن الرسول يعلم جيدًا أن الإنسانَ واحدٌ، ويميِّزُ عقليًّا فقط بين الاثنين، ولكننا ندرك أنه في الواقع إنسانٌ واحدٌ، رغم أن النفس توصَف بالإنسان الداخلي، والجسد بالإنسان الخارجي. وأُنبِّه إلى أن الأسفار المقدسة تصف أحيانًا الكائن كله بجزءٍ جوهريٍّ فيه، مثلما يقول الله: "سوف أسكب من روحي على جسد" (يوئيل ٢: ٢٨). ويصف موسى الإسرائيليين: "بسبعين نفسًا نزل أباؤك إلى مصر" (تثنية ١٠: ٢٢). وهذا ما نجده في الكلام عن عمانوئيل نفسه. ولذلك، بعد الاتحاد بالجسد، إذا قال أحدٌ إنه الابن الوحيد الإله الحق من الإله الحق، فإنه لا يعني بذلك أنه منفصلٌ عن الجسد، أو إنه بلا جسد. وإذا قال أحدٌ إنه إنسانٌ، فإن هذا لا يعني أنه ليس الإله والرب.

الفصل التاسع

المسيح طبيعة واحدة متجسدة

(ب) ولكن إذا قلنا إن الابن طبيعة واحدة، رغم أننا نعتقد أنه تجسَّد، فإن هذا يقودنا إلى الاعتراف بأنه قد حدث اختلاط وامتزاج [١] أو أن الناسوت قد ذاب في اللاهوت لأن طبيعة الإنسان لا تقارَن بمجد اللاهوت ولا تقوى على احتماله.

العليقة مثالٌ على الاتحاد

(أ) من الضروري يا صديقي أن نتبين أن كل مَن يقول بالاختلاط والامتزاج

---

(١) شرح القديس كيرلس تعبيره المفضَّل المسيح "طبيعة واحدة متجسدة" في رسالته إلى ساكونسوس Saccensus (نحن نعتقد أن الابن الواحد والرب الواحد يسوع المسيح، قبل التجسد وبعد التجسد هو واحدٌ بعينه، ولم يتحول الابن الواحد الذي كان الكلمة من الله الآب، بعدما وُلِد من العذراء إلى آخر، بل هو الواحد بعينه قبل كل الدهور، نؤمن بأنه وُلِد حسب الجسد من امرأةٍ دون أن يعني هذا أن ولادته من امرأةٍ كانت بداية أُلوهيته، أو أنه خُلِق من لا شيء، عندما وُلِد من العذراء القديسة مريم، بل لأنه الكلمة قبل كل الدهور، قيل إنه وُلِد منها حسب الجسد، وذلك لأن الجسد هو جسده، كما يقال عن أيّ واحدٍ منّا إن الجسد هو جسده. وحيث أن البعض يتهموننا باعتناق رأي أبوليناريوس لأننا نقول إن الكلمة الذي من الله الآب هو بطبيعة واحدة، وهو الابن الواحد الذي اتحد اتحادًا كاملًا بالناسوت بدون اختلاط ولا امتزاج هو اتهامٌ باطل. فكلمة الله اتحد بالجسد ولم يختلط بالجسد، ولم يتغير جسده إلى لاهوت، بل إننا نرد على الذين يتهموننا بأن الله الكلمة الذي من الآب –بشكلٍ فائقٍ لا يُدرَك ولا يعبَّر عنه– اتحد هو نفسه بجسدٍ له نفسٌ عاقلة وولِد إنساناً من العذراء وصار مثلنا بدون تغيير، بل حسب المسرة الصالحة الخاصة بالتدبير، ارتضى أن يتجسَّد دون أن يفقد أُلوهيته. ورغم أنه تنازَل وجاء إلينا وصار في شكل العبد، إلَّا أنه ظل في بهاء اللاهوت والربوبية الخاصة به").

وهكذا يميّز كيرلس بين الأرثوذكسية وهرطقة أبوليناريوس، وهي ذات النقطة التي يعود إليها في رسالته الثانية التي يرد فيها على نفس سؤال الأسقف: "إذا كانت طبيعة واحدة متجسدة للكلمة، فهل يستدعي هذا، التعليم بالاختلاط والامتزاج إلى الدرجة التي ذابت فيها الطبيعة الإنسانية فيه"؟ وعلى ذلك السؤال يجيب كيرلس: "الذين يبدلون الحق الواضح لا يعلمون أنه بالحقيقة طبيعة واحدة متجسدة للكلمة، لأن الكائن الأزلي الحق المولود من الآب قبل كل الدهور هو الابن الواحد، وعندما اتخذ جسداً بنفسٍ عاقلةٍ وولِد إنساناً من امرأةٍ، ظلَّ الواحدُ بعينه الذي لا يمكن تقسيمه إلى أقنومين وابنين، بل هو بعينه اتخذ جسداً له واتحد به بدون افتراق بالمرة. وكل مَن يعترف بهذا –بكل يقين– لا يتضمن اعترافه أيَّ إشارةٍ إلى الامتزاج أو الاختلاط.

والتغيير ليس إلَّا مجرد ثرثار. فالطبيعة الواحدة للابن المتجسِّد الذي تأنس هي ما نعترف بها دون أن يتضمن هذا الاعتراف أيَّ احتمالٍ للاختلاط أو الامتزاج أو التغيير، فهو اعترافٌ صحيح بالإيمان الأرثوذكسي. ولكن إذا كان الهراطقة يضعون قاعدةً خاصةً بهم لشرح الإيمان، ويحاولون إرغامنا على قبول قاعدتهم الخاصة، فإننا نقول لهم: "مشورتكم لن تقوم" (مزمور ٢١: ١١ س). إننا لا يجب أن نسمع لهم، بل نسمع الأسفار المقدسة التي أوحى بها الله. وإذا ادَّعوا أن الكلام عن الطبيعة الواحدة يعني امتصاص وذوبان الناسوت في اللاهوت بسبب ضعفه، ولأنه لا يمكن أن يقارَن بمجد اللاهوت، سنقول لهم مرةً أخرى: "تضلون لأنكم لا تعرفون الكتب ولا قوة الله" (متى ٢٢: ٢٩). كما أنه ليس مستحيلًا على الله الذي يحب الإنسان أن يجعل الناسوت قادرًا على أن يتحمل خصائص اللاهوت. وقد سبق الله وأشار إلى هذا بشكلٍ واضحٍ عندما قدَّم هذا السر لموسى وأعطاه مثالًا على التجسُّد، عندما جاء في شكلِ نارٍ مشتعلةٍ في العليقة دون أن تحترق، مما جعل موسى يندهش من المنظر. وكيف لم تحترق العليقة التي لا تنتمي إلى طبيعة النار، وكيف احتملت أغصان العليقة ألسنة اللهب؟ كان كل هذا مثالًا للسر الذي أعلن احتمال الناسوت أُلوهية الكلمة، لأنه أمام إرادته لا يوجد شيءٌ مستحيل.

(ب) انت تعلم جيدًا انهم لن يقبلوا ما ذكرت.

رفض الاتحاد يعني الإيمان بابنين

(أ) إن رفضهم الاتحاد يعني أنهم يريدون منّا الاعتراف بابنين ومسيحين.

(ب) إنهم لا يقولون باثنين، وإنما يقولون إن الابن الكلمة الذي من الله الآب هو بالطبيعة واحدٌ، وأنه هو اتخذ إنسانًا بالطبيعة، أي ابن داود. فأصبح ابنُ داود ابنًا لله لأن الكلمة اتخذه، وبسبب الكلمة الذي حلَّ فيه –أي ابن الإنسان– صارت له كرامة

نعمة البنوة بسبب حلول الكلمة[١].

الفرق بين التجسد وحلول الله فينا

(ب) يا ليت لهؤلاء عقلٌ صاحٍ يدرِك هذه الأمور إدراكًا سليمًا! كيف لا يؤدي قولهم هذا إلى الإيمان بوجود ابنين، لأنهم يفصِلون الواحد عن الآخر، اللاهوت عن الناسوت؟ وكيف يكون الواحد بذاته له بنوةٌ حقيقيةٌ طبيعيةٌ فيه، وللآخر البنوة بالنعمة، ونالها بسبب كرامة حلول الله الكلمة فيه؟ وكيف يصبح المسيحُ أعظمَ منّا إذا كانت له بنوةٌ بالنعمة؟ وكيف يتحقق حلول الله فينا؟ إن الرسول يثبِّتُنا في الإيمان بالتجسُّد الذي يؤدي إلى حلول المسيح فينا بقوله: "لذلك أنا أحني ركبتي للآب الذي تُسمى منه كل أسرة في السموات والأرض، لكي يعطيكم حسب غناه في المجد أن تتقووا بقوة روحه لكي يحل المسيح في قلوبكم" (أفسس ٣: ١٤-١٧). وهو فينا بالروح، ولذلك نصرخ: "أبَّا أيها الآب" (رومية ٨: ١٥). فإذن، نحن لسنا في وضعٍ أقل من الابن، إذا كان قد وُهِبَ لنا نفس النعمة التي وُهِبَت له، حتى أننا نُدعى أبناءَ وآلهةً مثله. ولكننا نعلم أننا أخذنا هذه الكرامة الفائقة بسبب حلول الله الكلمة الابن الوحيد فينا. وهل يوجد اعوجاجٌ ودنسٌ أكثر من الادِّعاء بأن يسوع نال البنوةَ وكسب المجدَ كعطيةٍ؟

(ب) هل يمكنك أن تشرح الإيمان أكثر؟

(أ) بكل تأكيد. بادئ ذي بدء، الخطأ الأساسي في اعتقادهم هو أنهم يؤمنون بابنٍ ومسيحٍ منفصلٍ عن الرب والابن والمسيح الحق، وبجانب ذلك يوجد اعتراض لا إجابةَ عليه، بل محاولة الرد عليه تصطدم بالمنطق السليم.

(ب) ما هو هذا الاعتراض.

---

(١) هذه من عبارات ثيؤدوريت المصيصي الموجَّة ضد الاتحاد.

(أ) يقول يوحنا الحكيم جدًا عن المسيح: "جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله، ولكن كل الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله" (يوحنا ١: ١١-١٢). واعتراضنا هو: مَن الذي له البنوة كنعمة، ومَن الذي له البنوة كامتيازٍ خاصٍّ به فعلًا لأنه الابن؟ وسؤالٌ هام: **هل يمكن لمن نال البنوة كنعمة أن يمنحها بوفرة لغيره، وهو نفسه جاهد لكي ينالها واغتنى بها؟** ألا يبدو لك التناقض التام في تعليم الهراطقة؟

(ب) حقًا.

لماذا يجب التمييز بين البنوة كنعمة، والبنوة كطبيعة؟

(أ) كما تعلم، أن كل ما يُعطى لأي كائنٍ من الخارج كهبة، لا يمكن أن يكون له مصدرٌ أو أصلٌ في كيانه، ويصبح قابلًا للتغيُّر والضياع حسبما يحدث لذلك الكائن من تطور.

(ب) هذا صحيح.

(أ) وجانبٌ آخر نراه في تعليمهم، وهو بكل يقين ليس فقط متناقضًا مع ما يقولون، بل هو رأيٌ فاسدٌ، فالبنوة التي وُهِبَت لنا كنعمةٍ، تصبح مشابهةً إلى حدٍّ بعيد لبنوة الابن الحقيقية، والتي هي طبيعةٌ فيه. فكيف أصبحنا أبناء الله بالتبني؟ وهل نلنا التبني لأن لنا صلةً بمَن هو الابن الذي يدَّعون أنه هو نفسه أخذ البنوةَ كنعمةٍ؟ وكيف يمكن أن يقال في مَثَل الكرمة والكرامين في الإنجيل إن الابن قد جاء إلى العبيد، وعندما رآه حُرَّاسُ الكرم قالوا هذا هو الوارث هلم نقتله" (متى ٢١: ٣٨)، فمَن الذي ظهر في الجسد؟ ومَن الذي كشف عن طرق اليهود المعوجة، أليس هو الابن بالحق والوارث والحر والمولود من ذات جوهر الآب، أي الذي له الطبيعة الحرة وليس مِن الطبيعة المستعبدة، وهو الذي نؤمن بأنه إلهٌ رغم أنه تجسَّد وصار مثلنا تحت نير العبودية، إلَّا أنه ظلَّ بطبيعته الابنُ الحقُّ الذي هو فوق كلِّ نيرٍ وفوق كلِّ الخليقة، ومنه نحن أيضًا أخذنا البنوةَ وصرنا أبناءَ بالنعمة؟

بنوة الابن لا تزول بسبب التجسد

(ب) لكنهم يقولون: إن الإنسان ليس هو ابن الله، لئلا بذلك نؤمن بابنين كلٍّ منهما له طبيعةُ ابنٍ، لأن الكلمة الذي نزل من السماء ليس بطبيعته ابن داود، وأيضًا الذي من نسل داود ليس هو ابنُ الله بالطبيعة[١].

(أ) هذا الكلام يعني تقسيم الابن الواحد إلى ابنين، وكل منهما لا يمكن أن يكون ابنًا بالحقيقة. وهذا يحول سِرَّ المسيح إلى لغوٍ وثرثرةٍ. أين الاتحاد، ومَن هو الذي اتحد؟ إن القول بأن الكلمة تجسَّد يصبح زائفًا ولا معنى له وبلا قيمة، ولا يمكن أن يدعى الكلمة الذي مِن الله الآب ابن داود (بدون الاتحاد). إن الهراطقة يحتاجون لأن يسمعوا ما قاله المسيح نفسه لرؤساء اليهود: "ماذا تظنون في المسيح؟ ابن مَن هو؟" فإذا قالوا ابن داود مثل اليهود، سوف يسمعون منّا: "كيف يدعوه داود بالروح ربًّا قائلًا اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك، فإذا كان داود يدعوه بالروح ربًّا، فكيف يكون ابنه؟" (متى ٢٢: ٤٢-٤٥). فهل يجلس على عرش الربوبية مع الله الآب ويملك على كل شيء مَن هو ليس بالطبيعة الابن الحقيقي، حسب قول الهراطقة؟ إن بولس الحكيم يقول لهم إن الآب لم يخاطب ولا واحد من الملائكة قائلًا له: "أنت ابني أنا اليوم ولدتك" ولا قال لأيٍّ منهم أيضًا: "اجلس عن يميني"، فكيف نال المولود من امرأةٍ هذه الكرامة الفائقة وجلس عن يمين الآب، أي على عرش الربوبية، فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسمٍ يسمى (أفسس ١: ٢١)؟ ولاحظ كيف يقول الرب: "إذا كان داود بالروح يدعوه ربًّا، فكيف يكون ابنه؟ وقال ذلك لكي يرشد الذين يبحثون عن الحق معلنًا أنه الكلمة الذي اشترك في اللحم والدم البشري، وظلَّ الابن الوحيد الواحد والإله الحق من الإله الحق الذي له المجد والربوبية في نفس الوقت الذي دُعيَ فيه أيضًا ابن داود، معلنًا لنا بكل صواب أنه قد تجسَّد.

---

(١) وردت هذه العبارات في أعمال المجمع الخامس كجزء من تعليم ثيؤدوريت المصيصي ضد الاتحاد.

الفصل العاشر

كيف نفهم الاتحاد والاخلاء؟

(ب) ربما قالوا على ما ذكرت، وهو أمرٌ سبق وأشرت إليه: "هل يجب علينا أن نعترف بأن الذي من نسل داود هو من ذات جوهر الآب؟

(أ) ما أغرب هذا السؤال التافه جدًا؟ **ألا يحمل هذا السؤال تناقضَ تعليمهم مع قوة سر المسيح، ومع ما يختبره الذين يؤمنون بالتجسِّد من فرح الحق؟**

(ب) أخبرني كيف؟

(أ) إن السؤال يعني أن نقسِّم المسيح الواحد، ونجعله واحدًا من نسل داود وآخر من الآب، أي الابن والرب. لكن الكلمات الصادقة تؤكد أن الابن الوحيد، كائنٌ مع الآب وأنه هو بذاته وليس آخر غيره، وُلِد من نسل داود حسب الجسد. وغباءُ الهراطقة هو الذي يجعلهم يقولون إن الذي نزل من السماء، أي الكلمة، ليس هو ابن داود، ولا الذي من نسل داود هو ابن الله. ولكن التعليم الصحيح هو أن الكلمة الذي بالطبيعة والحق وُلِدَ من الآب أخذ لحمًا ودمًا –وكما قلت الآن– ظلَّ هو نفسه بالطبيعة وبالحق الابن من الآب، لأنه واحدٌ وحيدٌ، وليس آخر معه. وهذا ما يوجِب اعتقادنا بأنه أقنومٌ واحدٌ تجسَّد. ونحن نؤمن باتحادٍ حقيقيٍّ فوق الإدراك والنطق، لأن الطبيعة التي نتكلم عنها هي غير قابلة للتحديد، وهذا يجعلنا نتقدم على درب الإيمان دون أي انحراف. نحن نعترف بأن الواحد بعينه يسوع المسيح هو مولودٌ من الله الآب، لأنه الله الكلمة، ومولودٌ من نسل داود حسب الجسد. ألا ترى أنني عبَّرتُ بكل دقة عن الإيمان؟

(ب) حقًا.

اعتراضٌ هام على التعليم بعدم الاتحاد

(أ) سوف أسأل المعاندين عن نقطة هامة أُريد إيضاحها.

(ب) ما هي؟

(أ) هل هم متأكدون من أن الابن الوحيد الله الكلمة مولودٌ من الله الآب، وأليس هم يؤكدون أنه اتخذ إنسانًا وأن الكلمة كانت له مجرد صلة بالإنسان الذي من نسل داود؟

(ب) نعم هكذا يعلِّمون.

(أ) إذا كان هذا هو تعليمهم وهم يقولون بأن الكلمة هو الله، فهذا يعني أنه متفوقٌ على الإنسان الذي من نسل داود في الطبيعة وفي المجد، بل أنه لا يوجد مجالٌ للمقارنة بين الطبيعتين، فكيف لا يظهر بوضوح أنهم يقسِّمون الواحد إلى اثنين، واحدٌ عظيم وواحدٌ حقير؟ بل إذا نسبوا المجد إلى مصدره الأصلي، أي لاهوت الكلمة، فالإنسان الذي من نسل داود والذي اتصل به الكلمة ليس إلَّا مجرد مخلوق يسعى لكي ينال هذا المجد –كما لو كان يسعى لنوال جائزة– ولا يملك هذا المجد، بل هو لا يخصه. وطبعًا إن الحقير هو الذي يأخذ من العظيم، لأن العظيم هو الذي يملك أن يعطي المجد للحقير، فهل يوجد تقسيمٌ أشنع من هذا؟

(ب) أظن أنهم سوف يؤكدون أن الفرقَ بين الله والإنسان شاسعٌ.

(أ) لعلك الآن تعلم لماذا لا نقبل تقسيم الواحد إلى اثنين، لأنه إن كان بولس الحكيم جدًا، وكاهن الأسرار الإلهية الذي سكن فيه المسيح، والذي كان يبشِّر بالمسيح، وكان يتكلم بالروح القدس، كيف دعاه حسب الجسد من اليهود، وفي نفس النص قال إنه "الإله المبارك إلى الأبد آمين" (رومية ٩: ٥). ولاحظ كيف قال: "ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الإله المبارك إلى الأبد..."، وماذا سيرى الإنسان في الله

الكلمة المولود من الآب؟ هل سيرى فيه عظيمًا وحقيرًا، واحدًا من الآب والآخر من اليهود حسب الجسد؟ إن التقسيم يقودنا إلى الاعتقاد بابنين.

ما معنى أن الآب أعطاه اسمًا فوق كل اسم؟

(ب) ولكنهم يقولون إن الذي من نسل داود، قد سُمِحَ له بالاشتراك في الكلمة بسبب الصلة وبسبب سكنى الله الكلمة فيه، ولذلك اشترك في كرامة الكلمة وعزته. وبرهانهم على ذلك قول القديس بولس: "أطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفَّعه الله وأعطاه الاسم الذي هو فوق كل اسم" (فيلبي ٢: ٨). وهذا الاسم هو اسم الله.

(أ) هل يقصدون أن الذي من نسل داود وليس الابن هو الذي أُعطيَ من الله الاسم الذي هو فوق كل اسم؟

(ب) نعم هم يقولون ذلك، وبرهانهم هو: أن الابن الوحيد الذي هو الله والمولود من الآب هو بالطبيعة الله، وله اسم الله، الذي يعطيه الآب ما يخصه بالفعل.

(أ) إعطاء الاسم الذي يفوق كل اسم هو **العبادة والاحترام** الذي يجب أن نقدِّمه للاسم. فإذا كان هذا غير كاف، فلنشرح هذه النقطة بالتفصيل. يقول بولس الإلهي: "ليكن لدى كل واحد منكم الفكر الذي كان في المسيح يسوع أيضًا، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب مساواته لله اختلاسًا، لكنه أخلى ذاته وأخذ صورة العبد وصار في شبه الناس، أي صار في هيئة إنسان، ووضع ذاته وجعلها خاضعة للموت حتى موت الصليب، لذلك أيضًا، رفَّعه الله وأعطاه الاسم الذي هو فوق كل اسم" (فيلبي ٢: ٥-٩). وحسب رأيهم أن الذي أخذ الاسم هو الإنسان الذي من نسل داود والمنفصل عن الكلمة. هنا يبدو تناقضهم واضحًا، مَن كان في صورة الله قبل كل الدهور الابن، أم الإنسان؟ ومَن الذي لم يحسب مساواته لله شيئًا يُختَلس؟ ومَن الذي أخذ صورة العبد إذا كانت صورة العبد غيرَ خاصةٍ به؟ هنا يبدو تناقضهم أكثر وضوحًا، إذ كيف يأخذ الإنسان العبد صورة العبد، وكيف يأخذها وهو إنسان تخصُّه هذه الصورة عينها، وكيف

يقال إن الإنسان الذي هو عبدٌ ومنفصلٌ عن الكلمة إنه صار في شبه البشر، أي صار إنسانًا. إن تناقضهم سوف يجعلهم يدورون حول أنفسهم إلى ما لا نهاية، ولن يتوقفوا حتى يعترفوا بالحق.

(ب) وما هو الحق؟

(أ) الله الكلمة الذي هو في صورة الله الآب ورسم جوهره والذي له المساواة مع الآب هو بذاته الذي قيل عنه إنه أخلى ذاته.

شرحُ الإخلاء[١]

(ب) ما هو الاخلاء؟

(أ) الاخلاء هو أنَّ الذي في صورة الله صار في شبهنا، والذي هو فوق الكل وضع نفسه وأطاع حتى الموت **وأخلى ذاته تدبيريًا حسب ما يتطلبه وضع الجسد**. ولكنه ظلَّ الإله الذي لا يحتاج إلى النعمة التي يحتاج إليها كل مخلوق. ولهذا السبب قال للآب الذي في السماء: "مجِّدني بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يوحنا ١٧: ٥). ولست أعتقد بأنهم سيتجاسرون على القول بأن الذي كان يطلب هذا هو الإنسان المولود من نسل داود، وأنه كان يطلب المجد الذي كان له قبل خلق العالم. لا يقدر الإنسان المنفصل عن الكلمة أن يطلب المجد، لأن هذا المجد لا يخص طبيعة ذاك الذي وُلِدَ في الزمان وفي آخر الدهور من نسل داود. ولكن المسيح الواحد هو الذي كان يطلب مجده، لأنه أخلى ذاته وتجسَّد وصار إنسانًا مثلنا في كل ما يخص الناسوت دون

(١) يقول القديس كيرلس في كتابه "حوار عن الثالوث" (هو إلهٌ حق من إلهٍ حق، الوحيد من الآب، والوحيد المولود من الآب ولادة لا تُدرَك. عندما تجسد وصار مثلنا، عند ذلك فقط "حُسِبَ ضمن اخوةٍ كثيرين" ودعيَ البِكر. متى حدث الاخلاء؟ عندما وُلِدَ البِكرُ من العذراء، والذي هو في نفس الوقت الابن الوحيد من الآب، فصار في عِداد البشر كإنسان، وهو الذي فوق الكل. ومتى حُسِبَ فقيراً وهو الغني؟ عندما أخذ الرب ما هو غريب عنه، أي الجسد فصار فقيراً عندما صار في الجسد).

أن يفقد البهاء والكرامة الإلهية الخاصة به، والتي للآب أيضًا. وكل ما ذكرناه يكون صحيحًا في حالةٍ واحدةٍ فقط، وهي إيماننا بإخلاء الابن. لذلك حتى لا نقع في الجرم الذي يحذّرُنا منه المزمور: "لا يكن لك إلهٌ جديدٌ في وسطك" (مزمور ٨١: ٩ س) وإذا كان حسب اعتقادهم أن إنسانًا هو الذي أخذ الاسم الذي هو فوق كل اسم، أي أن إنسانًا صار إلهًا بسبب الشركة والصلة بالكلمة، وأنه يجلس على عرش الآب شريكًا له في الكرامة الإلهية، فهذا ليس إلَّا إلهًا جديدًا ووثنيةً.

(ب) تكلمت بالصواب.

(أ) علينا أن نميّز بين الإيمان والوثنية، لأن بولس قال: "لأنه وإن كان آلهةٌ كثيرةٌ في السموات والأرض، إلَّا أنه لنا إلهٌ واحدٌ الآب الذي منه كل الأشياء ونحن له، وربٌّ واحدٌ يسوع المسيح الذي به الأشياء ونحن به" (١ كورنثوس ٨: ٥-٦). إذن، لنا ربٌّ واحد يسوع المسيح وبولس يؤكد ذلك لأن كل الأشياء فيه، وأخذت بدايتها منه. فكيف يمكن يا سادتنا النبلاء أن نفهم قول الرسول، إذا فصلنا الكلمة الذي من الآب عن الإنسان الذي من نسل داود؟ مَن الذي يمكن أن نقول إنه خالق كل الأشياء؟

(ب) طبعًا الابن الذي بالطبيعة من الله الآب هو خالق كل الأشياء.

المسيح الواحد هو خالق كل شيء

(أ) يقول كاهنُنا الذي أعطانا الأسرار الإلهية إنه بيسوع المسيح خُلِقَت كل الأشياء، وإنه هو الرب الواحد الوحيد. وسوف أُعيد ما قلته سابقًا عن معنى اسم المسيح، لأننا ذكرنا أنه يعلن لنا المسحة، **ونحن أيضًا بسبب المسحة التي نالها، ندعى مسحاء**. والسؤال الموجَّه لهم هو: هل الكلمة الذي من الله الآب هو الذي مُسِحَت طبيعته الإلهية لأنه كان محتاجًا إلى التقديس وشركة الروح -وهذا مستحيل- أم أنهم يعتقدون أن الكلمة كان فعلًا محتاجًا إلى التقديس؟ فما هو اعتقادهم فيه كمسيح وكيف مُسِح؟ وكيف إذا كان الابن الوحيد منفصلًا عن يسوع، يدعوه جبرائيل المبارك كواحدٍ

قائلًا للعذراء القديسة: "لا تخافي يا مريم لأنك ستحبلين وتلدين ابنًا وتدعين اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (لوقا ١: ٣٠-٣١)؟

(ب) هل يعني هذا أن نقول إن كل الأشياء قد خُلِقَت بواسطة ابن داود، وأن الذي وُلِدَ في الأيام الأخيرة من امرأةٍ هو ذاته خالق السموات والأرض وكل ما فيهما؟

(أ) هل أفهم من سؤالك أنك أنت أيضًا لا تؤمن بأن الكلمة تجسَّد؟ ألم يُدعَ ابن الإنسان؟ ألم يأخذ صورة العبد؟ ألم يُخلِ ذاته وصار في هيئة البشر، أي صار إنسانًا؟ فإذا أنكر هؤلاء التدبير، فان التلميذ الإلهي سوف يشهد ضد هؤلاء: "ونحن قد رأينا ونشهد أن الآب أرسل ابنه مخلصًا للعالم. وكل مَن يشهد أن يسوع هو ابن الله، يثبت في الله والله يثبت فيه" (يوحنا ٤: ١٤-١٥). وأيضًا: "بهذا نعرف روح الله، كل روح يعترف أن يسوع المسيح جاء في الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح بأنه جاء في الجسد ليس من الله" (١ يوحنا ٤: ٢-٣). وبالإضافة إلى ما ذكرته، كيف تشرح الاعتراف بالإيمان على أساس أن إنسانًا قد جاء في الجسد؟!! ولكن إذا كان الجسد قد أُضيف إليه لأنه من طبيعة غير طبيعته، فالكلام عن المجيء في الجسد يستقيم، ويعني أن الكلمة جاء فعلًا إلى العالم ليخلِّص العالم، وظلَّ بدون تغيير كما كان منذ الأزل مع أنه تجسَّد وصار إنسانًا. وبسبب الاتحاد نرى أنه لا يوجد ما يمنعنا من الاعتقاد بأن كل شيء قد خُلِق بواسطته، لأننا نؤمن أنه الله الكائن منذ الأزل مع الآب، لأن الله الكلمة لم يتغير عندما أخذ جسدًا ذا نفسٍ عاقلة. هذا واضح من كلام الرسول الذي يتعارض مع تعليم المعاندين الذين يغيّرون الإيمان مدَّعين أن الكلمة اتصل بإنسانٍ، لكنه تجسَّد فعلًا، وهو ما يجعل الكلام عن مسحته في الأردن ذا مضمون حقيقي، وهو أيضًا ما يجعلنا ندعوه يسوع لأنه حقًا تجسَّد ووُلِدَ جسديًا من امرأةٍ، وهو ما يجعله "يخلِّص شعبه من خطاياهم". كل هذا يجعلنا نرى أنه لا صحة للتعليم القائل بأن الله حلَّ في إنسان أو أنه اتصل به، و**إنما الكلمة تجسَّد وصار في هيئة البشر الخطاة لكي يتجدد الجنس البشري فيه هو أولًا، ويعود إلى ما كان عليه سابقًا ويتم القول: "الكل صار جديدًا"** (٢ كورنثوس ٥: ١٧).

الفصل الحادي عشر

التجسُّد ليس صلةً بين اللاهوت والناسوت

(ب) إذن، يجب أن نرفض كلَّ فكرةٍ وقولٍ عن إنسانٍ اتصل بالله الكلمة، وصار بذلك شريكًا في الكرامة الإلهية، أو أنه نال البنوة كنعمة بسبب اتصاله بالله الكلمة.

(أ) نعم ورفضًا كاملًا، لأن المجال الذي يعلَن فيه الإيمان في الأسفار المقدسة لا يتضمن ذلك بالمرة. بل أن هذا رأيٌ منحرف، وهو ثمرة من ثمرات عقلٍ مُحبٍ للكلام الباطل والضعيف الذي لا يمنح الإنسان شيئًا، **وهو كلامٌ يعبِّر عن عجزٍ في إدراك سر التدبير والاعمال العظيمة التي أنجزها التجسُّد**. وأين ورد في الأسفار الإلهية أن الكلمة اتصل بإنسانٍ؟ بولس الرسول يعبِّر عن عكس ذلك وبوضوح يقول عن سر تجسُّد الابن الوحيد: "لأنه إذ اشترك الأولاد في الدم واللحم اشترك هو أيضًا فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي الشيطان" (عبرانيين ٢: ١٤). وفي موضعٍ آخر يقول: "لأن عجز الناموس كان مصدره ضعف الجسد، ولذلك أرسل الله ابنه في شبه جسد الخطية، وبسبب الخطية دان الخطية في الجسد لكي يتم فينا حكم الناموس، نحن الذين نعيش ليس حسب الجسد، بل حسب الروح" (رومية ٨: ٣-٤). فإذا قيل إنه اشترك في الدم واللحم حسب الكلمات والمضمون الواضح الذي أعلنه كتبة الوحي الملهَمون بالروح القدس، وهذا يعني أن مَن كان فعلًا ذا لحم ودم، أي له ناسوت، وأن الناسوت هو طبيعته لا يمكن أن يقال إنه اشترك في اللحم والدم. أمَّا الذي ليس إنسانًا، بل له طبيعة أخرى مختلفة عن طبيعتنا، فهو الذي يقال عنه إنه وُلِدَ من امرأةٍ وصار في شبه جسد الخطية لأجلنا، وعندما صار مثلنا ظلَّ فوق الكل. ونحن نؤمن بأنه الإله الذي صار جسدًا والذي لم يأخذ جسد الخطية، **بل شبه جسد الخطية**، والذي فيه جاء وتحدَّث مع الناس على الأرض، لأنه صار كواحدٍ منّا. ولكنه لم يخضع للخطية، بل لم يعرفها كإله ولا حتى عندما تجسَّد. أمَّا الذين يرفضون -دون سببٍ واضحٍ- تدبير الابن الوحيد المجيد

والعجيب، فهؤلاء هم الذين يقولون إنه اتصل بإنسانٍ اتصالًا عَرَضيًا schetikos. وأن هذا الإنسان الذي اتصل به نال كرامةً ليست له أصلًا، وأخذ مجدًا لا يخصه، وإنما ناله بسبب اتصاله بالكلمة. وهذا يجعل الابن الوحيد ليس الإله الحق الذي تجسَّد، بل يجعله إلهًا نال اللاهوت بسبب اشتراكه في الله عندما تجسَّد، وهو بذلك يحمل اسم الابن الوحيد زورًا، بل يُصبح مَن يسمى بالمخلِّص هو المحتاج إلى الخلاص. والفادي يصبح محتاجًا إلى فادٍ آخر يفتديه. وضد هذا التجديف كتب بولس الحكيم جدًا: "لقد ظهرت نعمة الله المخلِّصة لكل الناس تدعونا إلى أن ننكر الفجور والشهوات العالمية وأن نعيش بالتقوى والعفة في الحياة الحاضرة منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح" (تيطس ٢: ١١-١٣).

اعتراض للهراطقة والرد عليه

(ب) أوافق على ما قلت، لكنني سمعتهم يقولون إنه بسبب الصلة العَرَضية التي كانت للإنسان يسوع مع الله الكلمة دُعيَ الإله العظيم عندما تأنس وصارت له صلةٌ مع الذي من نسل داود.

(أ) يا للجنون والعار!! مكتوبٌ عنهم: "وعندما أكَّدوا أنهم حكماء أثبتوا أنهم جهلاء بواسطة ما ادعوه" (رومية ١: ٢٢). هؤلاء يعلمون بوجود صلةٍ بين إنسانٍ والكلمة، وهم بذلك يحوِّلون سِرَّ المسيح إلى ما هو عكسه تمامًا، لأنهم عندما يقولون إنه مُنِح المجد والكرامة، فهذا القول ليس إلَّا اعترافًا بأنه مجردُ إنسانٍ فقط. هذه المشورة الشريرة تجعلهم يقسِّمون الواحد إلى اثنين متعارضين تمامًا، وهو ما يجعلنا نرى ابنين، يمكن أن نعبد كلًّا منهما على حدة. وبينما الواحد بالطبيعة هو الله، وبكل حق له صفات الإله، فالآخر ليس له أي شيء بالمرة، بل هو غريبٌ ودخيلٌ مثلنا، ويمكن أن يقال له: "وأي شيء لك لم تأخذه" (١ كورنثوس ٤: ٧). وكيف نفهم قول بولس الحكيم إذا قسَّمنا المسيح الواحد إلى اثنين وهو يقول: "لأن ابن الله يسوع المسيح الذي بُشِّر به بينكم بواسطتنا أنا وسلوانس وتيموثاوس لم يكن نعمٌ ولا، بل قد كان فيه نعمٌ" (٢

كورنثوس ١: ١٩). فكيف يكون نعمٌ ولا، أي إلهٌ وليس إلهًا، وكيف تُعطى له الأسماء: الابن والرب؟ أليس هذا نوعًا من التزييف؟ وإذا كان يُدعى الابن كما يقولون بسبب الصلة مع الابن الوحيد، ألا يفرّغُ هذا التجسُّدَ تمامًا، وتصبح كلمات الرسول: "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا" (٢ كورنثوس ١٥: ١٠) منطبقةً عليه هو أيضًا؟ إن ما لا يملكه أيُّ كائنٍ بالطبيعة إنما يُوهَب له من مصدرٍ آخر خارجي، لا يمكن أن يملكه ولا يصير طبيعةً له، بل يظل مِلكًا لمن وَهَب وأعطى، فكيف بصلةٍ عَرَضيَّةٍ يستطيع أن يقول: "أنا الحق" (يوحنا ١٤: ٦)، وهو لا يوجد فيه أيُّ حق (اللاهوت)، بل يمكن أن يقال إن الظلمة أدركته (يوحنا ١: ٥)؟ وإذا قال أنا الحق، ولم يكن الحق، فكيف يمكن أن يقال: "إنه لم يخطئ ولا وُجِدَ في فمه غشٌّ" (اشعياء ٥٣: ٩)، مع أن هذه الكلمات صادقة؟

(ب) بكل تأكيد أوافق على ما قلت.

مَن الذي مُسِحَ بالروح القدس؟

(أ) حيث أن الكلمة هو الله القدوس، وله في ذاته القدرة الإلهية كصفةٍ خاصةٍ بطبيعته الإلهية، فمن الواضح أنه لا يحتاج إلى قوةٍ ولا إلى قداسةٍ من آخر، وهذا يضعنا أمام السؤال التالي: مَن هو هذا الذي مُسِحَ بالقوة وبالروح القدس؟

(ب) ربما قالوا الإنسان الذي له صلة بالكلمة؟

(أ) يسوع المسيح بعينه هو الذي مُسِح، وهو الذي عنه قال بولس الحكيم: "أمَّا نحن فلنا إلهٌ واحدٌ الآب الذي منه كل الأشياء ونحن له، وربٌّ واحدٌ يسوع المسيح الذي به الأشياء ونحن به" (١ كورنثوس ٨: ٦). فكيف تكون كلُّ الأشياء مخلوقة بواسطة إنسان؟ ولماذا يُحسَب الابن مع الآب دون أن يكون بينهما وسيط؟ وكيف يمكن أن ننكر الابن الوحيد ونضع مكانه الإنسان الذي يقول عنه الهراطقة إن الكلمة حلَّ فيه وصارت له الكرامة بسبب حلول الكلمة؟

إن البراهين التي يقدمونها غبيةٌ جدًا وتخطت حدود المعقول، وخاليةٌ من الحق ولذلك لا تستدعي منا إلَّا الضحك؟

كيف يُدعى الإنسان؟

(ب) يقولون كلمة الله دُعيَ إنسانًا بشكلٍ خاص على هذا النحو: إن الإنسان الذي اتخذه الكلمة وُلِدَ في بيت لحم اليهودية، ومع ذلك دُعيَ ناصريًا لأنه تربَّى في الناصرة، هكذا الله الكلمة دُعيَ إنسانًا لأنه سكن في إنسان[١].

(أ) إدراكٌ فَقَدَ القدرةَ على الإدراك، وعقلٌ لا يعرف إلَّا الثرثرة، وغير قادر على أي شيء آخر!! أفيقوا أيها السكارى من الخمر (يوئيل ١: ٥). كلُّ مَن يسمع هذا الكلام يجب أن يسأل المعاندين: لماذا تدوسون الحق وتقلبون قوة التعاليم الإلهية وتسدِّون الطريق الملوكي؟ إن الاعتراضات كلها تدور حول نقطةٍ واحدةٍ، وهي أن الكلمة لم يَصِر جسدًا بالمعنى الثابت في الأسفار المقدسة، بل حسب تعليم الهراطقة الذي يتصوَّر أن الكلمة مجردُ ساكنٍ في إنسان anthropopolitis ولو صحَّ هذا لأصبح من اللائق أن ندعوه ساكنَ إنسانٍ anthropian وليس إنسانًا لأننا ندعو الذي سكن الناصرة بالناصري، أي من الناصرة، ولا ندعوه الناصرة. **وإذا كان ملءُ الثالوث القدوس الواحد في الجوهر يحل فينا بالروح القدس، فلماذا لا ندعو الآب والابن والروح القدس إنسانًا؟** هذه هي النتيجة المنطقية الحتمية لتفكيرهم السقيم. وحقًا يقول بولس: "ألا تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (١ كورنثوس ٣: ١٦). وأيضًا قال المسيح نفسه: "مَن يحبني يحفظ وصاياي وإليه نحن نأتي وعنده نصنع مسكنًا" (يوحنا ١٤: ٢٣). ومع هذا فالآب الذي يسكن فينا لا يُدعى إنسانًا بسبب سكناه، ولا الروح القدس أيضًا دُعيَ إنسانًا بسبب سكناه فينا، وهكذا يضحك هؤلاء من سِرِّ التجسد ويقلبون تعاليم الكنيسة إلى شيءٍ تافهٍ، بينما التعليم دعوةُ حقٍ تستحق كل إصغاء.

---

(١) هذا التفسير قدمه ديودوروس وثيؤدوريت المصيصي وقد اقتبس القديس ساويرس الانطاكي رد كيرلس السكندري.

لماذا دُعيَ المسيحُ نبيًّا ورسولًا؟

(ب) ولكنهم يقولون لقد دُعيَ نبيًّا ورسولًا.

(أ) أنت لست مخطئًا إذا دعوته نبيًّا ورسولًا لأن موسى قال لبني إسرائيل: "يقيم لكم الرب إلهكم من وسطك نبيًا مثلي" (تثنية ١٨: ١٥) وبولس الإلهي كتب أيضًا: "لذلك أيها الأخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا الرسول ورئيس كهنة اعترافنا يسوع" (عب ٣: ١) وهذا حق، ولكن عليهم أن يجيبوا على هذا السؤال: هل نعمة النبوة والامتيازات الرسولية واسم رئيس الكهنة أيضًا هو كرامة تعطى للإنسان.

(ب) نعم.

(أ) وربما سيقولون إنه بالنسبة للمسيح الذي يعتقدون أنه إلهٌ، هذه الألقاب صغيرة ولا تستحق أن تعطى له حتى وهو في حالة الإخلاء، الذي جعله يقبل هذه الألقاب مع الناسوت. ولكن، لأنه الإله والرب بكل حق الذي أخذ شكل العبد، وصار في شكلنا، وأخذ ما هو خاصٌّ بنا، وهو أعطى روح النبوة وأقام الرسل والكهنة، ومع هذا "صار مثل اخوته في كلِّ شيءٍ" (عبرانيين ٢: ١٧)، فدُعيَ "النبي" و"الرسول" و"رئيس الكهنة".

المسيح ليس واحدًا من الأنبياء

(ب) مع أنهم يقبلون أنه نبيٌّ إلَّا أنهم لا يقولون إنه واحدٌ من الانبياء، بل إنه يفوق كل الأنبياء. لأن الأنبياء أخذوا نعمة النبوة في الزمان، أمَّا هو، فهو مملوءٌ من اللاهوت من لحظة ميلاده، لأن كلمة الإله كان معه منذ البداية.

(أ) إذن، الفرق بين المسيح والأنبياء هو في كم النعمة والفترة الزمنية، ومن هذه الناحية فاق المسيحُ الأنبياء الذين سبقوه، وهذا هو امتيازه الوحيد. وهذا يجعلنا نرى أن

النقطة الجديرة بالبحث هي: هل كان المسيح حقًا نبيًّا على وجه الإطلاق، ولم يَزِد أو ينقص عن الأنبياء؟ لو كان نبيًّا ولا يزيد عن الأنبياء شيئًا، فلا يهم بالمرة ما تقوله عن الفترة الزمنية أو طريقة ميلاده لأنه مهما تفوَّق سيكون مثل القديس يوحنا المعمدان الذي قال عنه الملاك المبارك: "وسوف يمتلئ من الروح القدس من بطن أمه" (لوقا ١: ١٥). فكيف يمكن اعتبار واحدٍ مثل يوحنا المعمدان مجردَ عبدٍ، والآخر المسيح له كل كرامة ومجد الربوبية، وكلاهما نبيٌّ؟ ويوحنا يقول عن نفسه: "الذي من الأرض يتكلم من الأرض" أمَّا عن عمانوئيل "الذي يأتي من فوق فهو فوق الجميع" (يوحنا ٣: ٣١).

إذا قلنا إن المسيح نبيٌّ فقط، فكيف نشرح الاتحاد؟

(ب) مهلًا –ربما قالوا– إن الكلمة الذي من الله الآب هو فعلًا فوق الجميع (يوحنا ٣: ٣١)، وبذلك سوف يحجمون عن أن ينسبوا إليه ما يخص البشر، لئلا يؤدي هذا إلى اعتباره أقل مما يجب، وإلى عدم احترامه. وبسبب هذا يخافون من الكلام عن تجسُّدِه ويقولون إنه اتخذ إنسانًا واتصل به، ولذلك يجوز لنا أن ننسب إليه ما يخص الإنسان، لكنه يبقى الكلمة الذي لم تتغير طبيعته ولم يمسها سوء (بسبب التجسد).

(أ) إذن، الذي اتخذه الكلمة هو آخر غير الكلمة، هل مطلوبٌ منّا أن نعتقد بذلك وأن نتبع هذه الاختراعات وأن نقبل مثل هذه التحديدات الغريبة على إيماننا ونرفض الأسفار المقدسة، بل نحتقر التقليد الذي استلمناه من الرسل القديسين والإنجيليين ونأخذ بما يخترعه عقلٌ عاجزٌ وفارغٌ من المعرفة وغيرُ قادرٍ على التطلع إلى أعماق السر، لكي نضل نحن بدورنا ونشترك معهم في جهلهم ونرفض السير في الطريق المستقيم الذي يقود إلى الحق؟ لكننا نعلم مما كتبه القديس بولس، وهو أن نطرح كل فكر يعلو على معرفة الله وأن نأسر كل فكر ونخضره إلى طاعة المسيح (٢ كورنثوس ١٠: ٥). ولذلك عليك الآن أن تخبرني لماذا يغتاظون مثل اليهود ويعثرون في حجر العثرة (اشعياء ٨: ١٤)، أي التجسد؟

كيف تقدَّس الابن المتجسِّد في المعمودية؟

(ب) نعم أستطيع أن أُخبرك بكل آرائهم واحدًا بعد الآخر. يقولون إن المسيح قدَّسه الآب، كما هو مكتوب: "يوحنا شهد قائلًا لقد رأيت الروح نازلًا عليه من السماء واستقر عليه وأنا لم أكن أعلم أنه هو، ولكن الذي أرسلني لكي أُعمِّد بالماء قال لي الذي ترى الروح نازلًا ومستقرًا عليه، فهو الذي يعمِّد بالروح القدس وأنا قد رأيت وشهدت أنه ابن الله" (يوحنا ١: ٣٢ – ٣٤). وعنه أيضًا كتب بولس: "لأن المقدِّس والمقدَّسين هم من واحد" (عبرانيين ٢: ١١). وهذا كله ضد الإيمان بأن الكلمة الله هو قدوسٌ بالطبيعة، وبذلك لا يمكن أن يتقدَّس وهذا يعني بالضرورة أن نقول إن الإنسان الذي أخذه واتصل به هو الذي تقدَّس.

(أ) فكيف تمكَّن الذي اعتمد (يسوع) والذي نزل عليه الروح أن يعمِّد الآخرين بالروح القدس، وأن يقوم بهذا العمل الذي يخص الله وحده؟ إنه هو الذي يمنح القداسة وكبرهانٍ على ذلك، نفخ الكلمةُ المتجسِّد، والنفخةُ شيءٌ محسوسٌ، وأراد أن يعطي من غناه وصلاحه للرسل القديسين، فقال لهم: "اقبلوا الروح القدس، مَن غفرتم خطاياه تُغفر له ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت" (يوحنا ٢٠: ٢٢ – ٢٣). وعلينا أن ندرس كيف أخبر القديس يوحنا المعمدان وأشار إلى أنه تقدَّس، بل شَهِد عنه قائلًا: "هذا هو ابن الله" وأشار إليه وحده دون كل الذين اعتمدوا مستخدِمًا أداة التعريف "ال"؟ إن السابق والصابغ الذي هيَّأ العالم لقبول المسيح، كان عليه أن يعرف أنه يوجد آخر غير الذي اعتمد هو ابن الله بالحق، وكان عليه أن يخبرنا عن الحق بكل وضوح ويقول: "أنا لا أشهد عنه، بل أشهد عن ذاك الذي اتصل بالإنسان، وليس عن ذاك الذي أخذ نعمةً وعطيةً لكي يكون ابنًا". ولكن يوحنا المعمدان لم يخبرنا بشيءٍ من هذا، فهو يعلم أنه هو واحدٌ، وهو بعينه الكلمة من الله الآب الذي تجسَّد وتأنس وصار من نسل داود حسب الجسد. وهو ما يجعل يوحنا يشهد عنه أنه مقدَّسٌ كإنسان، ولكنه يقدِّسُ كإلهٍ، إلَّا أنه هو هو واحدٌ بعينه.

وإذا كان لم يتجسد ولم يتأنس ولم يُولَد من امرأةٍ حسب الجسد، فعلينا أن نُبطِل تمامًا كل ما قيل عنه بسبب تجسُّده. ولكن إذا كان حقًا قد اتضع لدرجة الإخلاء وصار مثلنا، فلماذا يفصلون عنه الأمور التي تخصه وهو في إخلاء الذات، وبذلك يهدمون بلا خجلٍ التدبيرَ الذي أتمَّه في الجسد؟

كيف تمجد المسيح؟

(ب) هذا صحيحٌ، ولكن لقد قيل عنه إنه أخذ مجدًا وصار ربًّا ورفَّعه الآب حتى صار ملكًا أيضًا، فهل يمكن أن تُنسَب هذه الأمور لله الكلمة؟ ألا ترى أنك بهذا تُهدِر مجده الإلهي الخاص به.

(أ) حقًا، إن طبيعة الله الكلمة مملوءةٌ بالمجد الحقيقي والملوكي والربوبية. ومَن يمكنه أن يشُكَّ في ذلك؟ ونحن بكل يقين نعتقد أنه في العلو الإلهي، ولكنه ظهر كإنسان، وهي حالةٌ تستدعي الأخذ والحصول على كل الأشياء، ولذلك هو الملء الذي يعطي الكل مِن ملئه (يوحنا ١: ١٦)، ولكن عندما تجسَّد وصار إنسانًا، صار فقرُ الإنسانيةِ فقرَه .. والمسيحُ حقًا هو سِرٌّ عجيبٌ مدهشٌ، ففي صورة العبد نجد الربوبية، وفي الكيان الإنساني نجد مجد اللاهوت، والذي تحت النير حسب مقاييس الناسوت هو في نفس الوقت يلبس إكليل اللاهوت الملوكي، والفائق الذي يعلو على كل الأشياء، هو في عمق الاتضاع. كلُّ ذلك يشرحه الحق الواضح، وهو أن الابن الوحيد تأنس، ولكن لم يبق دائمًا في حالة الإخلاء، بل لكي يأخذ الذي لنا ونعرفه أنه الإله المتجسِّد، ويمكننا بعد ذلك نحن البشر أن نشترك في كرامته الإلهية الفائقة[١]. وسوف نجد القديسين يشهدون عنه قائلين إنه الابن، وإنه تجسَّد، وله مجد الله الآب والملك والربوبية. يقول عنه أشعياء: "مثلما ينظِّف إنسانٌ غصنَ الزيتون من الورق، هكذا ينظفون أورشليم من البشر، بل ينشِفون مثل الكرمة، ولكن الذين يصرخون ويترنمون سيرون مجد الرب" (اش ٢٤:

(١) عودة المسيح إلى مجده معناها فيض العطايا على الإنسانية، ولذلك لم يمنح شيئًا إلَّا بعد قيامته وصعوده.

١٣-١٥). ونفس القديس يقول: "استنيري يا أورشليم لأن نورك قد أشرق ومجد الرب قد قام في وسطك، لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض، أمَّا عليك فيُشرِق الرب ومجده عليك يُرى" (اش ٦٠: ١ - ٢). وتلميذه يعقوب يقول: "يا إخوتي لا يكن لكم محاباة الناس، فهذا لا يتفق مع إيمان ربنا يسوع المسيح رب المجد" (يع ٢: ١). والقديس بطرس يقول: "إذا تألمتم من أجل المسيح، فطوباكم لأن روح المجد والله يحل عليكم" (١ بطرس ٤: ١٤).

لماذا صلى المسيح؟

(ب) يكفي ما ذكرته يا سيدي الصالح من الأقوال. وخبِّرنا كيف نفهم ما هو مكتوبٌ عن المسيح: "الذي في أيام جسده قدَّم صلوات وتضرعات بصراخٍ شديدٍ ودموع للقادر أن يخلِّصَه من الموت، وسُمِعَ له من أجل تقواه، ورغم أنه الابن، تعلَّم الطاعة من الأشياء التي تألَّم منها وكَمُلَ فصار مصدرَ خلاصٍ ثابتٍ لكل الذين يطيعونه" (عبرانيين ٥: ٧ - ٩). ويمكن أن أُضيف أيضًا إلى هذا: "إلهي إلهي لماذا تركتني" (متى ٢٧: ٤٦). لأنهم يقولون إن مثل هذه الأقوال لا تليق بالله الكلمة. وأنا أشهد أنه رغم صعوبة هذه النصوص المقدسة إلَّا أن المعاندين هم في الواقع بعيدون عن ميراث بهائه.

(أ) أنا اعرف أن هذه النصوص لا تنطبق على الله الكلمة الذي هو من الله الآب قبل التدبير. وإذا لم نعترف بأنه قد تجسَّد حسب ما تعلِّم به الكتب، لا يمكن أن نقبل هذه النصوص على أنها خاصة بلاهوت الكلمة، ولكن حيث أننا نؤمن بثباتٍ وبدون شك أن التجسُّد حقيقةٌ كلُّ مَن لا يقبلها هو خالٍ من التقوى، علينا أن نقترب على قدر استطاعتنا مِن عمق التدبير. الكلمة الذي مِن الله الآب ظهر في شكلنا لكي يُعين بشكلٍ فائقٍ حالتنا التي وصلنا إليها نحن البشر، ولكي يؤسِّس الطريق الذي يقودنا إلى ما هو فائق ومجيد. وكان من الضروري أن نتعلَّم نحن الذين في ضيقة بسبب محبتنا لله، كيف نواجه التجارب عندما تهاجمنا، وكيف نتصرف نحن الذين قبِلنا أن نعيش حياةً جديدةً وتحوَّلنا إلى هذا الأسلوب الفائق. هل نعيش حياة التكاسل وعدم الاهتمام

باحثين عن اللذات لا سيما في أوقات الشدة، أم أن نهتم بالصلاة ونغتسل بالدموع ونعطش إلى المعونة التي تأتي منه في الوقت الذي تهاجمنا فيه الشدائد، ونتصرف برجولةٍ لأنه هو شاء أن يتألم؟ وكان من الضروري أن نعرف ما هي فائدة الألم والجائزة التي نالها، لأن غاية الألم ليست هي الألم وإنما الاحتمال الذي له جائزةٌ عظيمةٌ. لذلك صار المسيح مثالًا لنا، ويؤكد القديس بطرس هذا بقوله: "لأنه أيُّ مجد أن كنتم تخطئون وتتألمون بسبب ذلك وتحتملون؟ بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير، فهذا ما تشكرون الله عليه، لأن المسيح مات عنا وترك لنا مثالًا لكي نتبع خطواته" (١ بطرس ٢: ٢٠-٢١).

ولأن الكلمة لم يكن بلا جسد، بل اشترك في كل ما يخصنا وأخلى ذاته، فصار "في أيام جسده" مثالًا لنا..

وما هو وجه الخطأ إذا تصرَّف حسب المقاييس الإنسانية مثل إطالة الصلاة، وسكب الدموع، واحتاج إلى المعونة، بل إلى أن يتعلم الطاعة رغم كونه الابن؟ والرسول الذي لبس الروح القدس كان هو نفسه في دهشةٍ من السر، لأن الذي بطبيعته الابن الحقيقي والذي له أمجاد اللاهوت، قد تنازل إلى حالتنا لكي يقبل فقر طبيعتنا. ولذلك صار مثالًا لكي يُعين الذين يأتون إليه ويعلِّمهم أن لا يبحثوا عن طريقٍ آخر سواه في الظروف التي تدعونا إلى أن نكون حقًا رجالًا. وحقًا قال المسيح في مناسبةٍ: "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولا يقدرون أن يقتلوا النفس، وإنما خافوا من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد في جهنم" (متى ١٠: ٢٨)، وأيضًا: "إن أراد أحدٌ أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (متى ١٦: ٢٤). وهدفنا أن نتبعه، وكيف يتحقق ذلك في وقت الشدة ما لم نتصرف برجولةٍ، ونسأل العون من فوق دون أن نهمل الصلاة الحارة التي تجعل الدموع تنسكب من عيوننا بسبب الخوف المقدس؟!

كيف نفهم إلهي إلهي لماذا تركتني؟

(ب) حسنًا شرحت.

(أ) وبالإضافة إلى ما ذكرت، كيف يفهمون "إلهي إلهي لماذا تركتني؟".

(ب) اعتقد انهم يتصورون أنها كلمات الإنسان الذي اتخذه الكلمة.

(أ) فهي كلماتُ إنسانٍ انسحق akidiontos من الحزن والتعب وهو يواجه الشدة والمحنة.

(ب) آه، ولكن هذا يعني أنه إنسانٌ صرخ بهذا الكلام من قلبه خائفٌ ومذعور، لأنه قال للتلاميذ: "نفسي حزينة جدًا حتى الموت" (متى ٢٦: ٣٨) وسجد أمام الآب نفسه قائلًا: "أبتاه إذا أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن لتكن ليس إرادتي بل إرادتك" (متى ٢٦: ٣٩).

(أ) هذا حسنٌ جدًا، وحقًا هو ما ذكرناه الآن عن أيام جسده (عبرانيين ٥: ٧). ولكن إذا ظنُّوا أن المسيح وصل إلى هذه الحالة بسبب خوفه الشديد وأنه حزن بشدة (متى ٢٦: ٣٧) وهزمته الأحزان، وساد عليه الضعف، فمثل هذا التفسير يتَّهم المسيح بأنه ليس إلهًا بل يؤكد لنا أن المسيح انتهر بطرس بدون داعٍ.

(ب) كيف تشرح إذن ما ذكرت.

(أ) لقد قال المسيح: "انظروا أن ابن الإنسان صاعد إلى أورشليم لكي يسلَّم إلى أيدي الخطاة فيهزأون به ويصلبونه وفي اليوم الثالث يقوم" (مرقس ١٠: ٣٣-٣٤، متى ١٦: ٢١)، ولأن بطرس محبٌ للإله قال: "يا رب حاشاك أن يكون لك هذا". فماذا قال المسيح: "اذهب بعيدًا عني يا شيطان، أنت معثرةٌ لي، لأنك لا تهتم بما لله وإنما بما للناس" (متى ١٦: ٢٣). وكيف فشل التلميذ في إدراك ما يجب أن يتم، إلَّا لأنه رغب في أن لا يمر السيد بالتجربة، ويصبح كلام السيد بلا معنى إذا كان قد وبَّخ تلاميذه على الخوف من الموت واعتبار الألم كلا شيء لكي تتم فيهم إرادة الله الصالحة.

ولكن دهشتي الحقيقية هي في أن المعاندين يقولون إن إنسانًا اتصل بالابن

الوحيد واشترك بذلك الاتصال في الكرامة الإلهية، ومع ذلك يخضعونه إلى الخوف من الموت، لكي يصبح في النهاية مجرد إنسان مثلنا دون أن يستفيد حتى من الكرامة الإلهية.

التدبير يشرح لنا الآلام والخوف والموت

(ب) ما هي أهداف التدبير؟

(أ) عجيبٌ وسِرٌّ عميقٌ ويدعو إلى الدهشة سِرُّ المسيح عند الذين يعرفونه جيدًا. تأمَّل الكلمات الخاصة بالإخلاء، والتي تتفق مع الناسوت، كيف سُجِّلت هذه الأقوال في وقتها المناسب لكي تعلن أن الذي هو فوق كل الخليقة صار مثلنا في كل شيء.

(ب) ماذا تقصد؟

(أ) ألا ترى أننا صرنا تحت اللعنة بسبب تعدي آدم، وبلا شركة مع الله، وهو ما جعلنا نسقط تحت سلطان الموت، وهو ما استدعى أن تصبح كل الأشياء جديدةً في المسيح (٢كورنثوس ٥: ١٧)، وأن نعود إلى حالتنا كما كانت سابقًا، وكانت الحاجة أن يأتي آدم الثاني الذي من السماء (١كورنثوس ١٥: ٤٧) الذي هو أقوى من الخطية، والقدوس، والباكورة الثانية غير الدنسة لجنسنا، أي المسيح الذي جاء لكي يحررنا من العقوبة وتصبح الطبيعة الإنسانية قادرةً على أن تطلب الصلاح والمعونة السماوية من الآب وأن ينتهي تخلِّيه وتركه[١] الإنسانية بطاعة المسيح وخضوعه التام. لأنه لم يفعل خطيةً فكسبت الطبيعة الإنسانية غنى عدم الفساد، وصارت بلا لوم، وهو ما يجعلها قادرةً على أن تصرخ بكل جرأة "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (متى ٢٧: ٤٦). وإذا اعتبرنا أن الابن الوحيد تأنَّس، فهذا الاعتبار هو الذي يجعلنا نفهم لماذا صدرت عنه هذه الكلمات، لأنه صار كواحدٍ مِنّا ونائبٍ عن كل الإنسانية، فقال هذه الكلمة لأن الإنسان الأول تعدَّى وسقط في عدم الطاعة، ولم يسمع الوصية التي أُعطيت له وإنما

(١) انسحاب الروح القدس من الطبيعة الإنسانية.

تعدَّاها بمكر التنين، فصار أسيرًا للتعدي، ولذلك بكل حق، أُخضِعَ للفساد والموت، ولكن الابن صار البداية الجديدة على الأرض، ودُعيَ آدم الثاني. **وكأن الابن الوحيد يقول: "أنت ترى فيَّ أنا الجنس البشري، وقد وصل إلى عدم الخطأ وقدوسٌ وطاهرٌ"، فأعطه الآن البشارةَ المفرحة الخاصة بتعطفك، وأزِل تخليك، وانتهر الفساد، وليصل غضبُك إلى نهايته. لقد غلبتُ الشيطان نفسه الذي نجح قديمًا، ولكنه لم يجد فيَّ شيئًا يخصه".**

هذه هي معاني كلمات المخلِّص التي كان يستدعي بها تعطف الآب، ليس عليه هو، بل على الجنس البشري الذي يمثِّله، **لأن ثمار المعصية مَرَّت من آدم الجذر والأصل إلى كل الطبيعة الإنسانية.** فالموت مَلَكَ من آدم إلى موسى، حتى الذين لم يخطئوا ليس مثل تعدي آدم (رومية ٥: ١٤). **وهكذا ثمار الباكورة الجديدة، المسيح تصل منه هو الأصل أو الجذر إلى كل الجنس البشري.** وبولس الحكيم جدًا هو شاهدنا لأنه يقول: "لأنه كما بمعصية إنسان واحد مات الكل فبالحري أيضًا ببر الواحد سيُحيا الكل وأيضًا كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (رو ٥: ١٥، ١كورنثوس ١٥: ٢٢).

ما سُجِّل عن الكلمة المتجسِّد هو خاصٌّ به كإله وإنسان

(ب) تفسيرهم إذن خالٍ من الحكمة، بل يتعارض مع الأسفار المقدسة، وأنها حقًا دينونةٌ عظيمةٌ أن يقول أحدٌ إن الإنسان الذي اتخذه الكلمة هو الذي استخدم هذه التعبيرات عندما تركه الكلمة الذي اتصل به.

(أ) بل تجديفٌ يا صديقي وبرهانٌ على غباوةٍ لا نظير لها، وهذا ما سوف نبرهن عليه بكل وضوح. وحيث أنهم يقسِّمون ويفصِلون الكلمات والحقائق، وينسبون بعضها فقط إلى الابن الوحيد، والأخرى إلى ابنٍ ليس هو الابنُ الوحيد، بل إلى ابنٍ وُلِدَ من امرأةٍ، وبذلك يضلُّون عن الطريق المستقيم الذي بلا خطأ الخاص بسر المسيح.

(ب) الواجب علينا أن لا نقسِّم الكلمات والحقائق عندما ندرس الأناجيل والتعاليم الرسولية.

(أ) تمامًا كما ذكرت، لا تقسِّم الواحد إلى شخصين وأقنومين، كلٌّ منهما منفصلٌ عن الآخر، ولكن حيث أن الابن الواحد الكلمة تجسَّد لأجلنا، فكل الكلام والحقائق تخصُّه لاهوتيًا وإنسانيًا.

(ب) حتى لو قيل إنه تَعِبَ من السير، وجاع ونام، فهل يليق أن ننسب إلى الله الكلمة هذه الأفعال الوضيعة؟

(أ) هذا السؤال يدل على أنك تعتقد بأن الكلمة عارٍ من الجسد ولم يتجسَّد وينزل إلى تواضعنا، هنا يصبح لسؤالك معنى، وطبعًا قبل التجسُّد لا يليق، ولكن بعد أن تجسَّد وتأنس وأخلى ذاته، فما هو الضرر الذي يقع عليه إن نسبنا إليه هذه الأفعال الوضيعة؟ لأننا نقول إن جسده خاصٌّ به وأيضًا ضَعف هذا الجسد يتفق مع التدبير الذي اقتضاه الإخلاء، لأنه صار مثل اخوته في كل شيء ما خلا الخطية (عبرانيين ٢: ١٧). ولا تتعجب إذا قلنا إنه جعل ضَعف الجسد ضَعفه عندما قَبِل أن يتجسد، وإليه هو نفسه تُنسَب الآلام التي أصابته على أيدي اليهود الذين عبَّر المزمور عما قالوه: "اقتسموا ثيابي بينهم وعلى ردائي ألقوا قُرعةً" (مز ٢٢: ١٨). وأيضًا: "كل الذين يرون يستهزئون بي يتكلمون بشفاههم ويهزون رؤوسهم" (مزمور ٢٢: ٧).

(ب) ولكنه يقول مثلًا: "الذي رآني فقد رأى الآب، أنا والآب واحد" (يوحنا ١٤: ٩-١٠، يوحنا ١٠: ٣٠) وإلى اليهود: "لماذا تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسانٌ أخبركم بالحق الذي سَمِعَه من الآب" (يوحنا ٨: ٤٠). فهل تسمح بأن تُنسَب هذه الكلمات المختلفة الخاصة بالمجد والوضاعة إلى الكلمة نفسه؟

(أ) بكلِ يقينٍ، لأن المسيح لم ينقسم، بل هو الابن الوحيد الحق والواحد وحده عند الذين يعبدونه. لأنه صورة الله غير المنظور (كولوسي ١: ١٥) وبهاء مجد أقنوم الآب

وختم جوهره، هو الذي أخذ صورة العبد، ليس كَمَن اتصل بها، بل هو نفسه تجسَّد واتَّخذ هذه الصورة وظلَّ كما هو مساوٍ لله الآب، وهذا يخبرنا به بولس الحكيم: "الله الذي قال أن يُشرِق نورٌ من ظلمةٍ، هو الذي أشرقَ في قلوبنا نور معرفة مجده في وجه يسوع المسيح" (٢كورنثوس ٤: ٦). وعلينا أن نفهم كيف في شخص[١] المسيح ظهر وأنار المجد الإلهي غير المنطوق به، لأن الابن الوحيد المتجسِّد يعلِن في شخصه مجد الآب الإلهي غير المدرَك، وهذا هو وحده فقط الذي ندعوه بالمسيح. وإلَّا فعلى المقاومين للإيمان أن يرشدونا كيف يمكن أن نرى في إنسانٍ مثلنا مجد معرفة لاهوت الآب؟ لأننا لا نستطيع أن نرى الله في صورة إنسان، بل في الكلمة الذي تجسَّد وصار إنسانًا مثلنا، وفي نفس الوقت ظلَّ الابن الحقيقي، وهذا هو ما يجعلنا نندهش من عمق حكمة هذا السر الذي يجعلنا نعتقد أنه الإله. وحقًا إن خادم أسراره دعاه المسيح يسوع الذي صار مثلنا عندما تجسَّد عارفًا أنه ظلَّ في نفس الوقت الإله الحق، ولذلك كتب بهذا الشكل: "بجسارةٍ أكثر كتبتُ إليكم جزئيًا أيها الاخوة كَمَن يذكِّركم بالنعمة التي وُهِبَت لي من الله. حتى أكون خادمًا ليسوع المسيح، خادمًا لإنجيل الله ككاهن[٢]" (رومية ١٥: ١٥-١٦). وزكريا ايضًا يتنبأ عن ابنه، أي المعمدان: "وأنت أيها الصغير سوف تُدعى نبي الله العلي، سوف تتقدم أمام وجه الرب لكي تهيئ له شعبًا" (لوقا ١: ٧٦) وأشار المعمدان إلى الله العلي والرب قائلًا: "هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم. هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي إنسانٌ، صار قُدَّامي، لأنه كان قبلي" (يوحنا ١: ٢٩-٣٠). أليس الصواب هو أن لا يشُكَّ أحدٌ في أنه الواحد بعينه والابن الوحيد، الكلمة الذي مِن الله الاب، والذي هو بذاته اتَّحد بجسدٍ فيه نفسٌ عاقلةٌ، وليس كما يدَّعي البعض بأنه لم تكن له نفسٌ عاقلةٌ، بل هو في كلِّ الظروف أقنومٌ واحدٌ فيه اتحد الكل – أقنومٌ واحدٌ في الجسد.

---

(١) شخص = وجه.

(٢) "الذين نالوا الكهنوت، إنما يخدمون الله وحده، لأن الكهنة لا يقفون أمام البشر وهذا ما يجعل بولس يقول إن النعمة التي وُهِبَت له من الله، هي أن يخدم المسيح يسوع. وهذه الخدمة التي يقدِّمها للأمم إنما هي خدمة إنجيل الله وهذا يعني أن المسيح هو الله لأن الكرازة بالمسيح للأمم هي خدمة الأمم بإنجيل الله، لكي يقبلهم الله ذبيحةً مقدسةً بالروح" (القديس كيرلس في كتاب De Recta Fide).

كيف تقدَّم في القامة والحكمة؟

(ب) أنا لا أشُك مطلقًا في أنه يوجد ربٌّ واحدٌ. إيمانٌ واحدٌ. معموديةٌ واحدةٌ (أفسس ٤: ٥)، ولكن إذا كان يسوع يتقدَّم في القامة والحكمة والنعمة، فمَن هو المقصود بهذه الكلمات؟ لأن اللوغوس الذي مِن الله الآب هو الملء، وهو كامل بذاته autotelis فكيف إذن، بل متى يتحقق تقدُّمه؟ إنه هو الحكمة، فلا يمكن أن نقول إنه أخذ حكمةً أو تقدَّم فيها، فعلينا أن نفحص عن الذي تخصُّه هذه الكلمات.

(أ) إن كنّا لا نقدر على أن نسبر غور الأسفار المقدسة، فمن الواجب علينا أن لا ندَّعي وجودَ ابنٍ آخر، أو ربٍّ آخر غير الكلمة. والإنجيلي الحكيم قال أولًا إن الكلمة صار جسدًا مؤكِّدًا أن جسده سوف ينمو وفق قوانين الجسد، لأنه ينتمي إلى الإنسانية، ولذلك يتقدَّم في القامة والحكمة وأيضًا النعمة، كلُّ هذه الأمور تسير معًا عندما ينمو الجسد في القامة حسب مقاييس الطبيعة الإنسانية، فجسدُ الأطفال شيءٌ وجسدُ البالغين شيءٌ آخر، والفرق هو النمو الذي يحدث للكل. ولم يكن مستحيلًا ولا غريبًا أن يأتي الكلمة الذي من الله الآب وأن يطلعَ مِن فوق، ويتنازل لكي يُقمَّط بالخِرَق التي يُقمَّط بها الرضعان. فهو قد اتَّحد بالجسد، وكان عليه أن يجعل جسده ينمو لكي يصل إلى حدِّ كمال القامة .. بل أُضيف إنه أعطانا إعلانًا فائقًا عندما قَبِلَ أن يكون طفلًا رضيعًا ولم يكن ذلك صعبًا عليه بالمرة، بل سهلًا وميسورًا وفَعَله دون عائقٍ، ولكنه لم يتوقَّف في مرحلة الطفل الرضيع، فهذا لا يتفق مع التدبير ولا مع حكمته الفائقة. وكلُّ ذلك تمَّ بدون ضجةٍ لأن سرَّ التدبير كان يقتضي ذلك. وسَمَح تدبيرًا أن تُطبَّق عليه مقاييس الطبيعة الإنسانية، وكلُّ هذا تم بترتيبٍ لائقٍ ليكون فعلًا مثلنا في كل شيء، وأن يتقدَّم قليلًا إلى ما هو أعظم حسبما تستدعي مراحل العمر وأن تنمو القامة مع الإدراك في انسجام. والكلمة كاملٌ في كلِّ شيءٍ ولا يحتاج إلى النمو ولا إلى الزيادة، بل لقد وُصِفَ بهذه الكلمات **لأنه جعل ما يخصُّنا يخصَّه هو، لأنه صار مثلنا، ولكننا نعرف أنه فوق الكل كإله.** وحقًا يتجاسر بولس، رغم معرفته بأنه قد صار جسدًا ويقول وهو يتطلع إلى بهاء اللاهوت، وفي موضع معيَّنٍ يقول إنه ليس إنسانًا، فكتب إلى الذين في

غلاطية: "بولس رسولٌ ليس مِن الناس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح" (غلاطية ١: ١)، وفي موضعٍ آخر: "والإنجيل الذي كرزت به إنه ليس بإنسان، لأني لم أقبله من إنسانٍ، ولا عُلِّمتُه، بل بإعلان يسوع المسيح" (غلاطية ١: ١١-١٢).

(ب) إذن، علينا أن نَصِفه بما ذكرت، وبالتقدُّم في الحكمة والقامة والنعمة مثلما وصفناه بالجوع والتعب وكل الصفات الأخرى مثل الألم وأن الآب أقامه، فالكلُّ إذًا يخصُّه.

(أ) نعم لأننا نعتقد أن الناسوت يخصُّه تدبيريًّا، ومع الناسوت كل ما يخص الناسوت من صفات، وهذا يمنعنا من أن نعتقد بابنٍ آخر، **وإنما الربُّ الذي وحده خلَّصنا وأعطانا دمه كفارةً عن حياة الكل**، لأننا اشتُرينا بثمنٍ، ليس بأشياءٍ تفنى الفضة أو الذهب، وإنما بدمٍ ثمينٍ كما من حملٍ بلا عيبٍ ولا دنسٍ دم المسيح (١ بطرس ١: ١٨-١٩) الذي قدَّم نفسه عنّا رائحةً ذكيةً مقبولةً لدى الله الآب. وشاهدُنا على ذلك بولس الذي فَهِمَ الشريعة أكثر من غيره، وهو الذي كتب: "كونوا متمثلين بالله كأولادٍ أحباء. وأسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضًا وأسلم ذاته عنّا قربانًا وذبيحةً لله رائحةً ذكيةً" (أفسس ٥: ١-٢). **وقد صار المسيحُ رائحةً ذكيةً، لأنه أعلن في ذاته أن الطبيعة الإنسانية صارت بلا خطية، وهو الذي جعل لنا ثقةً به وفيه وفي الله الآب الذي في السموات لأنه مكتوب: "لأن لنا الثقة يا أخوة بالدخول إلى قدس الأقداس بدم المسيح، لأنه أقام لنا طريقًا جديدًا حيًّا بالحجاب أي جسده"** (عبرانيين ١٠: ١٩-٢٠). وعلينا أن نفهم كيف يقول **إن دمه وجسده، وهما ما يدعوهما بالحجاب،** ولسببٍ واضحٍ لأن الحجاب في هيكل سليمان كان يخفي تمامًا قدس الأقداس، **وهكذا فإن جسد الرب أيضًا لا يسمح برؤية جمال اللاهوت الفائق لكلمة الله، بل كان مخفيًّا فيه.** وهذا مما جعل البعض يتخيل أنه إيليا أو واحدٌ من الانبياء (متى ١٦: ١٤). ولكن اليهود الذين كانوا أقل إدراكًا للسر الخاص به كانوا يستهزؤون ويقولون أليس هذا هو ابن النجار (مت ١٣: ١٥). وكيف يقول إني نزلت من السماء (يوحنا ٦: ٤٢). اللاهوت مُخفىً عن العيون، إلَّا أننا رأيناه على الأرض عندما صار مثلنا وتجسَّد، لأن

الرب الإله تجسَّد وظهر لنا، وهذا ما يعلِّمنا إياه داود الإلهي بقوله: "سيأتي الله علنًا، نعم سيأتي إلهنا ولا يسكت" (مز ٥٠: ٣).

الفصل الثاني عشر

اتحاد اللاهوت بالناسوت

آلامه وموته وقيامته والاتحاد

(ب) إنك تتكلم بالصواب، ولكنهم لا يشتركون معكم في الصواب الذي تعلِّم به. فهم لا يقبلون مطلقًا أن ينسبوا آلام الصليب للكلمة الذي هو مِن الله، وإنما يقولون إنه إنما أعدَّ الإنسان الذي اتصل به وأعطاه كرامةً مساويةً لكي يحتمل مؤامرة اليهود وأحقادهم وآلام الصليب، بل والموت نفسه، لكي يصبح رئيس الخلاص بقوة الكلمة الذي معه، وعندما يقوم من الموت يضع نهايةً لقوة الموت.

(أ) وهل يمكن لهؤلاء أن يبرهنوا لنا من الأسفار المقدسة أن هذا هو الإيمان الصحيح؟ أم أنهم يخترعون إيمانًا آخر وينطقون بأشياء من عندهم، وليست من فم الرب (أرميا ٢٣: ١٦)، وكما هو مكتوب: "حاشا لي أن افتخر إلَّا بصليب المسيح الذي به قد صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم" (غلاطية ٦: ١٤).

فصل اللاهوت عن الناسوت يلغي الخلاص

(ب) إنهم يقولون إن الرسول بولس يؤكِّد تعليمهم بما كتبه: "لأنه يليق به الذي له الكل وهو آتٍ بأبناءٍ كثيرين إلى المجد، أن يكمَّل بالآلام رئيس خلاصهم" (عبرانيين ٢: ١٠). وهم يقولون إن الذي به الكل، ليس إلَّا الكلمة الذي من الله الآب. ولكنه هو الذي أكمل رئيس خلاصنا، أي الذي من نسل داود.

(أ) إذن، نحن لم ننل الفداء من الله، وإنما نلناه بدمٍ آخر، بل إن الذي مات ليس إلَّا مجرد إنسان دُعيَ زورًا بالابن، **وهذا يجعل سر الابن الوحيد مجرد كلام عاطل**

ومزاح، لأنه لم يتجسَّد، وعلينا أن نسجِّل هنا أن الذي خلَّصنا وصار مخلِّصَنا ليس الابن الوحيد، بل آخر، أي ذاك الذي سَفَكَ دمه لأجلنا. إن القديس بولس قد كتب يقول: "وكان من الضروري أن أشباه السماويات تتطهر بمثل هذه. أمَّا السماويات نفسها فبذبائح أفضل من هذه، لأن المسيح لم يدخل إلى أقداسٍ مصنوعةٍ باليد شبه الأقداس الحقيقية، بل يظهر الآن في حضرة الله لأجلنا، ولا يدخل عدة مرات كما كان يفعل رئيس الكهنة مرةً كل سنةٍ بدمٍ آخر، بل في آخر الدهور ظهر لكي يُبطِل الخطية بذبيحة نفسه" (عبرانيين ٩: ٢٣ – ٢٦). ولما كان الرمز، أي هيكل العهد القديم يتطهَّر من يومٍ لآخر، فالحقيقي يتطهَّر بدمٍ أفضل، ولذلك دخل يسوع بدمه، ليس المسكن الأرضي المؤقت الذي صنعه البشر، بل الحقيقي الذي لم يصنعه إنسان، أي السماء التي نطلبها الآن، لأنه في المسيح الحق أعظم من الظل، أي دمُ ذبيحته.

المتألم ليس إنسانًا فقط والا فقدنا قوة الصليب

(ب) حسنًا تقول.

(أ) ولكن حيث أنهم استخدموا قول الرسول لكي يؤكِّدوا أن الذي تألم هو إنسانٌ عاديٌّ، فعلينا أن ندرس قول الرسول من بدايته لكي نرى المعنى الحقيقي لأنه مكتوب: "لأننا نرى يسوع الذي وضع قليلًا عن الملائكة من أجل ألم الموت متوَّجًا بالمجد والكرامة لأنه يليق به الذي الكل له وبه الكل، وهو آتٍ بأبناءٍ كثيرين إلى المجد أن يكمَّل رئيس خلاصهم بالآلام. لأن المقدِّس والمقدَّسين جميعهم من واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم أخوةً. قائلًا: أُخبر باسمك إخوتي وفي وسط الكنيسة أُسبِّحُك .. وأيضًا ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله. فإذ قد اشترك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو فيهما أيضًا لكي بالموت يبيد ذاك الذي له سلطان الموت، أي الشيطان، ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية، لأنه حقًا لا يأخذ جسده من الملائكة، بل من نسل إبراهيم، ومِن ثمَّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء" (عبرانيين ٢: ٩ – ١٧).

لننظر، بل لندقق النظر. لقد قيل عنه بكل وضوح إنه وُضِعَ قليلًا عن الملائكة وذلك "بسبب ألم الموت"، إلَّا أنه "تُوِّجَ بالمجد والكرامة". ويعلِن بوضوح مَن هو هذا الذي يتكلم عنه، إنه الابن الوحيد الذي أكَّد أنه اشترك في اللحم والدم، أي صار مثلنا وأنه لم يأخذ جسده من الملائكة، بل أخذه من نسل إبراهيم. لقد كان يليق بالله الآب الذي الكل له وبه، أن يكمِّل الابن الذي نزل وأخلى ذاته وتأنس وصار في صورة العبد، ولقد كُمِّل بالألم، أي عندما قدَّس لحمه فديةً لحياة الكل. لأن المسيح ذُبِح لأجلنا وهو الذبيحة الواحدة التي بلا عيب، التي بها أكمل المقدَّسين (عبرانيين ١٠: ١٤). فجدَّد الطبيعة الإنسانية إلى ما كانت عليه في البدء، لأن الكل صار فيه جديدًا منذ الآن (٢كورنثوس ٥: ١٧).

لقد قدَّم الله الآب ابنه الوحيد عنّا، ولن يتأخر بولس عن أن يكون شاهدنا لأنه يكتب عنه: "الذي لم يشفق على ابنه، بل قدَّمه فديةً عنّا، كيف لا يهبنا معه أن ننال كل شيء" (رومية ٨: ٣٢). وابنه الوحيد هو الكلمة المولود من ذات جوهر الآب، وقدَّم الفدية عنّا، ليس عندما كان بدون جسد، بل عندما تجسَّد، لأن تقديم الذبيحة بدون التجسُّد مستحيل. وإذا قيل إنه تألم، فهذا القول لا لومَ فيه على الإطلاق، لأنه لا يتألم في أُلوهيته وإنما في جسده، لأن الله الآب كما قيل سابقًا "جعل الذي لم يعرف خطيةً، خطيةً لأجلنا، لكي نصير نحن بر الله فيه" (٢كورنثوس ٥: ٢١).

بالموت أمات الموت وأقام الحياة بالقيامة

(ب) هل أنت تعتقد بأنه صار خطيةً، أم أن الصواب أنه صار مثل الخطاة؟ أم أنه فعلًا صار خطيةً؟

(أ) سؤالٌ جيد: لقد قيل "لقد جعل الذي لم يعرف خطيةً خطيةً لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه" (٢كورنثوس ٥: ٢١) وبهذا تبرَّرت الإنسانية فيه. وهكذا الذي لا يعرف الموت، لأنه الكلمة الحياة والمحيي قد تألم في الجسد، إلَّا أنه ظلَّ فوق تأثير الألم، لأننا

نؤمن أنه الإله، ولكن كل ذلك حدث لأجلنا لكي نحيا نحن فيه وبه. لذلك تُوصَف آلام المسيح بأنها "شبه الموت" حسبما قيل: "فإن كنّا قد غُرِسنا معه في شبه الموت نصير أيضًا بقيامته" (رومية ٦: ٥)، لأن الكلمة كان حيًّا، رغم أن جسده كان يذوق الموت، لكي يُبيد الموت وتنال الإنسانية قوة القيامة. وحقًا كما أنه في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع (١كورنثوس ١٥: ٢٢). **وإلّا كيف أمكننا أن نقول إن سِرَّ تدبير تجسُّد الابن الوحيد في الجسد قد أعان الإنسانية ما لم يكن الكلمة الله قد تجسَّد؟ وما لم ينزل الذي هو فوق الخليقة ويخلي ذاته ويصبح مثلنا، وما لم يَصِر جسده هو جسد الحياة الذي خضع للفساد لكي ما نصبح نحن فيه أقوى من الموت والفساد؟**

تجسَّد وصارت له خصائص الجسد

(ب) إذن، نحن نعلم أن الكلمة الذي من الله الآب هو نفسه قد تألم في الجسد عنّا؟

(أ) حقًا طالما أن بولس على حق بقوله عنه: "الذي هو صورة الله غير المنظورة بِكر كل خليقة، لأن فيه خُلِقَت كلُّ الأشياء، المنظورة وغير المنظورة، سواء أكانت عروشًا أم أرباب أم كراسي أم سلطات، كلُّ شيءٍ خُلِقَ به وله، لأنه قَبلَ كلِّ الأشياء وفيه يقوم الكل وهو رأس الجسد، الكنيسة، هو البداءة البِكر من الأموات، لكي يكون متقدِّمًا في كل شيء" (كولوسي ١: ١٥ – ١٨). لننظر، ولننظر بتدقيق، لأنه بكل وضوح يقول إنه: "صورة الله غير المنظور، بِكر كل خليقة، الذي به كل الأشياء"، ثم يؤكِّد بعد ذلك أنه "صار رأس الكنيسة"، وأنه "البِكر من الأموات" أيضًا. كلُّ هذا لا يمكن فهمه إلّا على أساس أن له جسدًا فعلًا **وأن كلَّ ما فيه من خصائص، صارت تخص الابن الوحيد**، ولذلك قيل عنه إنه "احتمل الصليب واستهان بالخزي" (عبرانيين ١٢: ٢). كلُّ هذا يمنعنا من أن نقول إنه إنسانٌ بسيط نال كرامة الاتصال بالكلمة –لا أدري كيف يمكن أن يحدث ذلك– لأنه كيف يستطيع مجرد إنسان أن يموت عنّا ويرفع عنّا حكم الموت، وإنما الذي صُلِبَ هو حقًا ربُّ المجد. (١كورنثوس ٢: ٨). لأنه تألم لأجلنا في

الجسد حسبما تقول الأسفار المقدسة، وهو الذي حسب الجسد قيل إنه من إبراهيم، ولكنه كإله هو فوق الكل مباركًا إلى الأبد آمين. (رومية ٩: ٥) لأنه هكذا كَتَبَ القديس بولس رسول المسيح وشاهده إن المسيحَ فيه (٢كورنثوس ١٢: ٣).

– خبِّرني كيف يفهمون ما قاله المسيح للمرأة السامرية عند البئر: "أنتم تسجدون لمن لا تعلمون، أمَّا نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود" (يوحنا ٤: ٢٢)، ولكن الذي خلَّصنا هو الرب بدمه لا رئيس ولا ملاك، بل الرب نفسه (أشعياء ٦٣: ٨-٩س)، ليس بموت آخر أو وساطة إنسان، وحقًا ولسببٍ صالحٍ قال بولس: "مَن داس ناموس موسى على يد شاهدين أو ثلاثة يموت بدون رأفة. فكم عقابًا أشر تظنون من داس دم ابن الله وحَسِبَ دم العهد الذي تقدَّس به كلا شيء وازدرى بروح النعمة الذي به تقدَّس" (عبرانيين ١٠: ٢٨ – ٢٩). فإذا لم يكن الدم الثمين هو دم الابن المتجسِّد حقًا، بل مجرد دم سفكه إنسان فائق نال البنوة كإكرام، فكيف لا يُحسَب دمه فعلًا كلا شيء؟ ومما سبق نقول إنه رغم أنه تألم في الجسد، إلَّا أن الحرية من الألم هي فيه لأننا نعتقد أنه الإله. وهو ما يجعل القديس بطرس يقول: "المسيح تألم مرةً ومات عنّا. البار لأجل الاثمة لكي ما يقرِّبُنا من الله. مات في الجسد ولكن محييً في الروح" (١ بطرس ٣: ١٨). وكيف حدَّد لابس الروح مَن تألم، ولم يقل فقط تألم، بل تألم في الجسد؟ لأنه كان يعلم أنه يتكلم عن الإله. وبعد أن تكلم عن آلامه بكل دقة، أضاف "في الجسد" حتى لا يتهمه أحد بأن الكلمة قابلٌ للألم.

إذا كان المسيحُ واحدًا، فكيف تألم ناسوته فقط؟

(ب) يقولون إن رائحة غير المعقول تفوح، بل إن الكلام شبه مرفوض، لأننا نقول إن الواحد بعينه تألم دون أن يتألم. لأنه إما أنه كإلهٍ لم يتألم، أو أنه تألم، وبالتالي فهو ليس إلهًا، ولذلك الذي تألم هو وحده الذي من نسل داود.

(أ) لكن كيف لا يكون هذا برهانًا واضحًا على فهمٍ ضعيف؟ لأن الله الآب لم

يُعطِنا إنسانًا بسيطًا وصار الوسيط الذي أُكرِمَ بمجد البنوة، وبنوته عَرَضية لأن له صلة عَرَضية بالله الكلمة، وإنما الذي هو خالق الكل وفوق الكل صار مثلنا أي الكلمة شعاع جوهر الآب وحياة الكل الذي صار فديةً عن الجميع. إن أكثر الأشياء جنونًا هو أن تخبرنا الأسفار المقدسة بأن الابن الوحيد تجسَّد ثم رَذَلَ التدبير، أو أنه وَجَدَ خطأً في أن يتألم في الجسد بدون أن يحتفظ بمجده. لكن يا سادتي إن الموضوع هو خلاص العالم كله. وحيث أنه تألم، لذلك السبب فقد أراد أن يتألم رغم أن الآلام لا يمكن أن تنال الذي هو الإله، لقد لبس الجسد قابل الآلام وجعله جسده الخاص به[١] وفيه تألم.

ومِن ثمَّ فالتدبير يجعله يتألم في الجسد دون أن يتألم اللاهوت، لأنه إلهٌ وإنسانٌ في نفس الوقت، أمَّا المقاومون فهم يتكلمون كلامًا أجوفًا وبحماقةٍ ضد قوة سر التدبير محاولين تصويره على أنه مجالٌ للاستغراب والدهشة، وليس مجالًا للتسبيح! هل لأن الكلمة رضي أن يتألم بالجسد، فيجعلنا هذا ننتقده؟ ألم تكن هذه الآلام مجيدة، لأن القيامة برهنت على أنه أقوى من الموت والفساد، لأنه الحياة، بل والمحيي، وكإلهٍ أقام هيكله؟ هذا ما يجعل القديس بولس يقول: "لست أخجل من الإنجيل، فهو قوة الله للخلاص لكل مَن يؤمن" (رومية ١: ١٦)، و"كلمة الصليب عند الهالكين جهالة أمَّا عندنا نحن الذين خلُصنا فهي قوة الله" (١كورنثوس ١: ١٨)، وحقًا عندما كان الابن على وشك أن يصعد إلى آلامه المخلِّصة قال: "الآن ابن الإنسان يتمجد، والله سيتمجد فيه سريعًا" (يوحنا ١٣: ٣١)، وقد قام حقًا بعد أن سبى الجحيم، وقد تم هذا "سريعًا" في أعقاب الآلام مباشرةً.

---

(١) لم يكن شخصاً آخر، أو إنساناً آخر، بل هو في جسده ولذلك حُسِبَ هو أنه الذي تألم، لأن المسيح واحدٌ واشترك kekerasmenos في الإنسانية وهو الله الكلمة بدون استحالة، بل أخذ جسده من العذراء (وأيضاً في العظة السابقة ٤٢٠) يقول كيرلس: "وكما أجاب أبونا الذائع الصيت الأسقف أثناسيوس عن قاعدة الإيمان الأرثوذكسي وكتب يقول إن طبيعتين مختلفتين، أي اللاهوت والناسوت قد اتحدتا، لأن المسيح واحدٌ من اثنين". ويضيف كيرلس: "نحن نعبده دون أن نفصل منه ذاك الذي حلَّ فيه وحجب اللاهوت، أي حجاب الجسد، بل المسيح واحد من اثنين".

المسيحُ يظهر كضعيفٍ بالموت وقويٍّ بالقيامة

(ب) ولكن بولس الحكيم يقول: "إذا كنتم تطلبون برهانًا عن المسيح المتكلم فيَّ، الذي ليس ضعيفًا بل قويًّا فينا". وحقًا، لقد صُلِب، فكيف يمكن أن يقال إن الكلمة نفسه ضعيفٌ، ثم بعد ذلك يحيا بقوة الله؟

(أ) ألم نقل أكثر من مرة إن الكلمة الله تجسَّد وتأنس؟

(ب) نعم، وإلَّا كيف يمكن أن نشرح هذا الكلام؟

(أ) إذن، هو ضعيفٌ بسبب ظهوره بيننا كإنسان، ويحيا بقوة الله، وهي قوة ليست غريبة عنه، بل خاصة به، لأنه هو الله في الجسد.

(ب) حقًا قيل إن الآب أقامه، لأنه مكتوب: "حسب قدرته الفائقة نحونا، حسب عمل شدته، الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى" (أفسس ١: ١٩-٢١).

(أ) نعم، فنحن نقول إنه القوة المعطية الحياة من الآب، وهو الذي يفرح به الآب، لأنه مولودٌ منه ويُسَرُّ به لأنه صار جسدًا، وهو نفسه يشهد قائلًا: "كما أن الآب يحيي من يشاء، هكذا الابن أيضًا يحيي مَن يشاء" (يوحنا ٥: ٢١)، وهو قادرٌ على أن يحقق ما يريده بدون تعب، ولذلك يقول لشعب اليهود: "انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أنا أُقيمه" (يوحنا ٢: ١٩). والذي قام هو بذاته، الذي جلس عن يمين الآب في السماويات فوق كل رئاسة وسلطان وسيادة وكل اسمٍ يُسمى (أفسس ١: ٢٠-٢١). فهل يمكن أن يكون ابنًا آخر غير الكلمة المولود من الآب، وإذا كان غير الكلمة، فهل يُعطى كرامة واسم الألوهية كنعمةٍ أم أنه الابن الحقيقي الذي بطبيعته الله والذي "صار في شبه البشر وأخذ هيئة الإنسان تدبيريًّا؟

المجد الذي للابن الكلمة خاصٌّ به وهو متجسِّد

(ب) ربما قالوا إن الإنسان الذي من زرع داود والذي اتصل بالكلمة نال المساواة والكرامة، ولأنه تألم ومات حُسِبَت له كرامة الابن الكلمة.

(أ) ولكن إذا نال هذا الإنسانُ كرامةً مساويةً لكرامة الابن الكلمة، فواضحٌ أنه آخر غير الابن الكلمة. وهذا يعني أنه آخر مع آخر، أو واحدٌ مع واحدٍ، أي أن المسيح أكثر من واحد. وهكذا، إذا انقسم المسيح إلى اثنين، فواحدٌ منهما (الإنسان) لا يمكن أن يكون مساويًا للآخر في الطبيعة، وحتى إذا أُكرِمَ فطبيعته أقل. وحيث أن الجالس عن يمين الآب هو الابن الواحد، فعليهم أن يقولوا لنا مَن هو الذي يجلس عن يمين الآب في الأعالي، ومَن هو الذي يشترك مع الآب في الربوبية. أليس هذا افتراءٌ وتطاولٌ أن نجعل من العبد مساويًا للرب، والمخلوق ينال ذات الكرامة مع الخالق، والعبد الخاضع للعبودية يجلس مع ملك الكل الذي هو فوق الكل، أي كل ما يُحسَب في عداد هذا الكل؟

لا خلاص من الله بدون اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح الواحد

(ب) هل يمكنك أن تشرح هذا بإيضاح؟

(أ) إذا افترضت أن ما سبق وذكرته يكفي لأنني عالجت النقاط الخاصة بالاتحاد ودون أن أعود إلى ما ذكرت، سوف أُضيف بعض النقاط الأخرى، ولن ارتدي في عجلةٍ أو جهلٍ، السلاح الكامل، أي العقيدة الإلهية، بل سوف أحشد جيوش الحق ضد هؤلاء الذين يعلِّمون تعاليم متناقضة مع الحق.

الابن الوحيد الكلمة الذي من الله وليس آخر غيره، هو الوسيط في التدبير، لأن وجود آخر معه أو آخر متصل به، يجعل سر الموت على الصليب فارغًا بلا قيمة، فهو بذاته وليس آخر الذي مات على الصليب، وهذا يبرهن عليه القول: "هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الابدية"

(يوحنا ٣: ١٦). وعندما يعلِن الله الآب محبته الفائقة ويُظهِر محبته العظيمة نحونا، فلماذا يشتِتُّها أعداؤنا بقولهم إنه لم يكن الحقيقي الذي بُذِلَ عنّا، وإنما يخترعون واحدًا مثلنا نال البنوة كنعمة تبنٍّ ويحاولون أن يضعوه في مكان الابن الحقيقي؟ ألم يكن الابن الحقيقي هو الذي بُذِل عنّا؟

ألم يكتب يوحنا قائلًا عنه: "الإله الابن الوحيد الذي في حضن الآب" (يوحنا ١: ١٨)؟ فكيف لا نندهش من هؤلاء الذين بعدم معرفتهم، يريدون إقصاء الإله الابن الوحيد عن التدبير، ويضعون في مكانه آخر له بعض المجد الذي مُنِحَ له من الخارج، كما مُنِحَ أيضًا الأُلوهية؟

وكيف يعبِّر هذا عن محبة الله الآب الجديرة بكل احترامٍ وثقة، بعد أن بَذَلَ من أجل الإنسان كائنًا مخلوقًا من هذا العالم وضئيلًا جدًا، بحيث لا يصلح للتعبير عن محبته الإلهية، بل لا يمكن أن نلوم الذين يقولون إن العالم لم يُفتَدى، ولم يأخذ شيئًا من الله، بل صار يخلِّص بعضه البعض.

موت المسيح الواحد على الصليب هو وسيلة تجديدنا

(ب) يقولون: الابن الوحيد قد بذله الآبُ عنّا، لا لكي يتألم لأن الآلام خاصة بالإنسانية، والابن الوحيد بالطبيعة لا يتألم، فالآلام مستحيلة.

(أ) إنه لا يتألم لأن اللاهوت غير مادي، وبالتالي هو فوق الآلام. ولكن بشهادة صوته، أي بواسطة قيثارة الروح القدس، وهو صاحب المزامير الذي شَهِد بأن الآب أعدَّ له جسدًا (مزمور ٤٠: ٦-٨). فصار متجسِّدًا لكي يصنع مشيئة الآب ومات على الصليب المكرَّم، وبه (الآب) وفيه (الابن) جمع وجدَّد وأكمل وملأ الكل. ويؤكد بولس الحكيم جدًا ما نقول: "ليكن فيكم الفكر الذي كان في المسيح يسوع أيضًا. الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب مساواته لله اختلاسًا. فأخلى ذاته وأخذ صورةَ عبدٍ وصار في شبه الناس، وإذ وُجِدَ كإنسانٍ وَضَعَ ذاته وأطاع حتى الموت موت الصليب لكي تحثو

باسم يسوع كلُّ ركبةٍ مما في السموات وما على الأرض. ويعترف كلُّ لسانٍ أن يسوع المسيح هو الرب لمجد الله الآب" (فيلبي ٢: ٥-١١). فمَن هو الذي في صورة الله الآب؟ ومتى اعتَبَر المساواة لله والكرامة الفائقة شيئًا لا يمكن اختلاسه لأنه خاصٌّ به؟ أليس هذا هو الله الكلمة الذي أشرق من الآب؟ كيف لا يكون هذا المعنى ظاهرًا للكل؟

ولكن عندما أخذ الذي في صورة الله، أي المساوي للآب صورةَ عبدٍ، ولم يتم هذا بصِلَةٍ عارِضَةٍ عندما صار في شبه الناس، بل وضعَ نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب.

ما معنى أن الآب أعطاه اسمًا؟

(ب) ولكن قيل عنه إن الآب أعطاه الاسم الذي هو فوق كلَّ اسمٍ، لكي تجثو كلُّ ركبةٍ باسم يسوع المسيح، فإذا كان الله الكلمة هو المقصود بهذا الكلام، فكيف يقال إنه أخذ الاسم الذي هو فوق كل اسم؟ هذا الكلام متناقضٌ عن الكرامة الذاتية للابن الوحيد.

(أ) بالمقارنة بما نقول، أليس من الأفضل أن نقول إن الله الآب أعطى اسم الأُلوهية لمن هو الابن بالطبيعة عندما تجسَّد لأجلنا لكي يشهد عنه أنه الإله حتى وهو متجسِّدٌ خصوصًا وأنه اتَّضع وصار مثلنا دون أن يفقد مجده الإلهي؟ أليس هذا أفضل من الادعاء بأن إلهًا جديدًا ظهر وأُعلِن للملائكة والبشر ونال مجد اللاهوت (الاسم) الذي ليس طبيعةً له، بل غريبٌ عنه ومُنِحَ له من الله الآب؟

(ب) هل الكلمة نفسه الذي من جوهر الآب هو الذي تُنسَب له العبارة "وأعطاه اسمًا فوق كل اسمٍ".

(أ) بكل تأكيد، وتأكيدنا هذا لا يخرج عن البراهين التي قدَّمناها سابقًا، لأن الذي لم يحسب المساواة للآب اختلاسًا نزل إلى حيث لا مجد، وظهر كإنسانٍ ولذلك

قال: "أبي أعظم مني" (يوحنا ١٤: ٢٨)، مع أن من صفاته الأساسية الكينونة مع الآب لأنه مولودٌ من جوهره، ولذلك لا يجب على أحدٍ أن يفترض أن الذي نزل إلى حدود الطبيعة الإنسانية، فَقَدَ مجد أُلوهيته الفائق، ولكن في الاخلاء الذي يخصُّنا ظلَّ مالكًا لملء الأُلوهية، وفي الاتضاع عندما صار إنسانًا احتفظ بالمجد ولم يفقد أُلوهيته التي تجعل الكلَّ يعبده، ولكن عندما تجسَّد صار إكليل تجسُّدِه هو تسبيحُ كافة الخليقة له في السماء وعلى الأرض، واعتراف الكل بأن المسيح يسوع هو الرب لمجد الله الآب. وحقًّا قال هو لله الآب الذي في السموات: "أيها الآب مجِّدني بالمجد الذي كان لي عندك قبل خلق العالم" (يوحنا ١٧: ٥). وخبِّرني، هل هذا ينطبق على الإنسان الذي اتخذه الابن الوحيد الذي يتحدثون عنه، وهل كان هذا الإنسان كائنًا قبل خلق العالم؟

(ب) لا.

(أ) ولكن على الذي يسأل عن المجد الذي كان له قبل خلق العالم أن يسأل بوضوح: هل هو منذ الأزل وإلى الأبد الله؟ ونحن بدورنا نسأل: هل كان الله الكلمة منذ الأزل مع الآب ويجلس معه على عرش اللاهوت الذي قال عنه يوحنا: "الكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله" (يوحنا ١: ١)، فهل هو نفسه الذي تجسَّد؟

الكلمة هو الذي تجسَّد

(ب) كيف يكون هو نفس الشخص؟

(أ) إنه هو نفسه ربُّ المجد الذي نزل إلى مهانة صورة العبد، ولذلك يطلب من الآب أن يعود إلى مجده الإلهي فقط عندما تجسَّد لأنه دائمًا الإله. وعندما يطلب عودته إلى مجده، فهو يطلب أن يرتفع من الوضع الإنساني إلى الوضع الذي كان عليه أي مجده الإلهي الخاص بلاهوته، لكي وهو الابن الواحد والإله الحق، بعدما تجسَّد وصار مثلنا، تجثو له كلُّ ركبة. وإذا فكرنا واعتقدنا بذلك فإننا نكون قد انقذنا السماء والأرض من تهمة عبادة مخلوق مثلنا، لأنه مكتوب: "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (متى ٤:

.(١٠

مَن الذي نزل من السماء؟

(ب) إن ما قدَّمته الآن يحتاج إلى شرح، ولذلك أرجوك أن تكشف لنا هذا السر بجوانبه العقائدية الأخرى.

(أ) سوف أشرح لك السر بكل سرور، ولكنني أؤَكِّد لك أنهم أخطأوا في إدراك الحق عندما أضافوا للابن آخرًا، أي الذي من نسل داود، والذي جعلوه ابنًا مع الذي بالطبيعة والحق الابن الوحيد، رغم أن الأسفار المقدسة تصرخ بصوت عال: "الإنسان الأول ترابي من الأرض، الإنساني الثاني الرب من السماء" (١كورنثوس ١: ٤٧). وأيضًا الابن نفسه: "مشيئتي أن أفعل مشيئة الذي أرسلني، وهذه مشيئة الذي أرسلني أنَّ كلَّ من أعطاني لا أفقده، بل أُقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا ٦: ٣٨ – ٣٩)، فمَن هو الذي نزل من السماء مع أن الجسد مولودٌ من امرأة؟

(ب) الذي نزل هو الكلمة المولود من الله الآب، لأنني لست أظن أنهم سوف يعتقدون بغير ذلك.

(أ) ما ذكرته صواب يا صديقي. ويوحنا الحكيم كتب يقول: "الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع" (يوحنا ٣: ٣١). فكيف إذن، عندما سُرَّ الآبُ أن كل ما أعطاه للابن سوف يقوم في اليوم الأخير، وهو ما يليق حقًا بالله كمخلِّصٍ، فإذا كان هناك آخر غير الابن، أو آخر يُحسَب مع الابن، فكيف يقول إنه لم يأتِ لكي يعمل مشيئته، بل مشيئة الآب؟ وهل يمكن بعد هذه الكلمات أن يفترض أحدٌ أن الابن المولود من الآب هو آخر لا علاقة له برحمة الله الآب، أو أنه ليس صالحًا مثل الآب، أو أن إقامة الموتى والقضاء على الفساد هو عملٌ ليس من اختصاصه، بل من اختصاص شخص آخر غيره؟

(ب) طبعًا هذا خطأ.

(أ) وحيث أنه مولودٌ من جوهر الآب الصالح، فإننا نعتقد أنه هو أيضًا صالحٌ، بل هو الصلاح عينه، لأنه قال: "من الثمرة تُعرَف الشجرة" (متى ١٢: ٣٣) وحقًا قال: "الذي رآني فقد رأى الآب، أنا والآب واحد" (يوحنا ١٤: ٩، يوحنا ١٠: ٣٠).

صلاة المسيح في جثسيماني

(ب) حاول أن توضِّح أكثر مما ذكرته.

(أ) إننا نقول إن إبادة الموت والفساد من أجساد البشر لم يكن شيئًا مرفوضًا عند الابن الذي "لا يُسَر بموت الحي" لأنه أيضًا مكتوب: "إن الأزمنة السابقة كانت للحياة" (حكمة ١: ١٣)، وأيضًا "بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم" (حكمة ٢: ٢٤). ولم يكن لدى البشر وسيلةٌ تمكِّنهم من زعزعة سيادة الموت إلَّا بتجسُّد الابن الوحيد، **لذلك ظهر في شكلنا وجعل جسده خاضعًا للفساد**، حسب ناموس الطبيعة الخاصة بالجسد، ولكن هو الحياة لأنه مولودٌ من الآب الذي هو الحياة، **يَزرَعُ من جديد صلاحه، أي الحياة**. فاختار برحمته ومحبته للبشر، أن يُصبحَ مثلنا، وقَبِلَ الآلام التي أنزلها به اليهود، وعار الآلام الثقيل لم يرفضه، وحقًا عندما جاء الوقت الذي كان عليه أن يقبل الصليب لأجل حياة الكل، ولكي يؤكِّد لنا أن الآلام ليست مرفوضةً، بل مقبولةٌ، عبَّر عن ذلك بالشكل الذي يليق به كإنسان وقال بشكل صلاة: "أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي، بل إرادتك" (متى ٢٦: ٣٩)، وقال أيضًا إنه نزل من السماء، لكي يقبل المرفوض وغير المقبول أي الموت، ويعطي القيامة لكل الساكنين على الأرض، فهو وحده الذي استطاع أن يمنح الحياة من جديد للجنس البشري. **وصار بذلك بِكر الراقدين حسب الجسد والبِكر من الأموات**.

لماذا دُعيَ آدم الثاني؟

(ب) إذن، الآلام تخصُّه هو وليس آخر، لأنه ظهر كإنسان رغم أنه ظلَّ عديم

الألم كإلهٍ.

(أ) هكذا تعبِّر أنت عما أعتقده، وتذكر الأسفار الإلهية التي تقول: "آدم الأول نفسًا حيَّةً وآدم الثاني روحًا مُحيِيًا" (١كورنثوس ١٥: ٤٥).

(ب) هل تعني بذلك أن الكلمة من الله صار يُدعى آدم الثاني؟

(أ) نعم. فهو ليس إنسانًا فقط، بل كما قلت صار في شبهنا لأن تجديد الحياة والقيامة عملٌ يخصَّ الله. **وهو يُدعى آدم الثاني، لأنه جاء من نسل آدم الأول حسب الجسد وصار البداية الثانية للذين على الأرض، لأن الطبيعة الإنسانية تحوَّلت فيه[١] إلى الحياة الجديدة حياة القداسة وعدم الفساد بالقيامة من الأموات.** هكذا صارت نهاية الموت، لأن الذي بالطبيعة هو الحياة لم يقبل أن يخضع جسده للفساد، لأنه لم يكن ممكنًا أن يسود الموت على المسيح (أعمال ٢: ٢٤). ولذلك اعطينا الحياة منه وصارت الحياة هي العطية الصالحة التي نلناها فيه.

(ب) حسنًا تكلمت.

الموت والقيامة مع المسيح في المعمودية

(أ) لنلق نظرة على الجوانب الأخرى.

(ب) ماذا تقصد؟

(أ) لقد قال المسيح للرسل القديسين: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى ٢٨: ١٠). ولذلك اعتمدنا للثالوث المساوي

(١) تحوُّل الطبيعة الإنسانية هو نفس التعبير الذي يستعمل في صلاة تقديس الخبز والخمر، وهو نفسه الذي يقال في صلوات المعمودية.

الآب والابن والروح القدس. أليس هذا صحيحًا؟

(ب) ليكن ذلك، لماذا لا؟

(أ) هل تؤمن بالآب والابن المولود من الآب؟

(ب) نعم.

(أ) كيف اعتمدنا لموته كما يقول الرسول: "لأننا جميعًا اعتمدنا لموته" (رومية ٦: ٣)، وأيضًا "ربٌّ واحد ايمانٌ واحد معموديةٌ واحدة" (افسس ٤: ٥)، نحن لا نقول إننا اعتمدنا لموت ذاك الذي من نسل داود أو لابنٍ آخر، **وإنما اعتمدنا لمن هو بالطبيعة الله الذي فوق الألم ورضي بأن يتألم لكي يخلِّص الذين خضعوا للفساد**. لقد صار مثلنا في كل شيء نحن الذين على الأرض، فوُلِد من امرأةٍ حسب الجسد وجعل جسده قادرًا على أن يذوق الموت وأن يحيا بعد ذلك، لكي وهو -غير المتألم- يُقال إنه تألم في جسده، لأنه قد جاء لكي يخلِّص ما قد هلك. وحقًا قال: "أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف" (يوحنا ١٠: ١١). وأيضًا "لا يستطيع أحد أن ينزع حياتي مني وإنما أنا الذي أبذلها، لي سلطان أن أبذلها وسلطان أن آخذها أيضًا" (يوحنا ١٠: ١٨). ولا يمكن أن ينطبق هذا الكلام علينا أو على أي مخلوق مهما كان، لا سيما الكلمات: "لي سلطان أن أبذلها"، فمَن ذا الذي يستطيع أن يبذل ذاته ثم يعيدها مرةً ثانيةً إلى الحياة سوى الابن الوحيد بالحق، فهو الذي بذل ذاته وأعادها مرةً ثانيةً إلى الحياة وجعلها فوق سلطان الموت.

ويمكننا أن نرى بسهولة الخطوط العامة التي ذكرناها والتي أُعلِنت في كتب موسى وتحت ظلال الناموس، لأن الذبيحة الحيوانية التي خلَّصت بني إسرائيل من المهلك كانت رمزًا للمسيح، لأن المسيح فصحنا الذي ذبح لأجلنا لكي ينهي سيادة الموت المرعبة، وبدمه يكسب كل الذين تحت السماء. فنحن اشتُرينا بثمن ولم نعد ملكًا لأنفسنا، لأن واحدًا قد مات عن الكل وقيمته تفوق قيمة الكل، لكي لا يعيش الأحياء لأنفسهم، بل

للذي مات لأجلهم ثم قام (١ كورنثوس ٦: ١٩، ٢كورنثوس ٥: ١٥). ويقول بولس أيضًا: "إنني بالشريعة متُّ لكي أعيش لله، مع المسيح صُلِبتُ فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ، وما أحياه الآن في الجسد إنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبَّني وأسلم نفسه لأجلي" (غلاطية ٢: ١٩-٢٠). لقد صرنا جميعًا للمسيح وفيه تصالحنا مع الآب. وتألم المسيح بالجسد لأجلنا لكي يُظهِرنا أنقياء. ومكتوب: "لذلك يسوع أيضًا لكي يطهِّر الشعب بدمه تألم خارج المحلة" (عبرانيين ١٣: ١٢). وأيضًا "أنتم الغرباء والأعداء في فكركم وبالأعمال الشريرة، صالحكم الآن **في لحمه ودمه** وبالموت لكي يقدِّمكم قديسين وبلا لوم قدامه" (كولوسي ١: ٢١-٢٢). لنفهم كيف يقول: "**لحمه ودمه**" الخاص به والذي به صالحنا، فكيف يمكن أن نقول إن اللحم والدم يخصُّ ابنًا آخر غير الكلمة ويكرَّم لمجرد أن له صلة بالكلمة، ونال مع الكلمة منحة المجد وصار فائقًا وسمائيًا دون أن يكون في جوهره ما يؤهله لذلك، وإنما لبس المجد مثل رداء[١] أو قناع فوُهِبَ اسم البنوة واسم الأُلوهية الذي هو فوق الكل.

ولو صحَّ تفسير المعاندين لأصبح غير لائق بالمرة أن يقول "أنا الحق" (يوحنا ١٤: ٦). فكيف يكون الحق وهو ليس كذلك؟ ولكن المسيح هو الحق والإله على الكل، لأن الكلمة ظلَّ كما هو دون أي تغيير رغم أنه تجسَّد وصار في وسطنا بسبب الناسوت الذي أخذه، ولكنه لم يفقد أُلوهيته التي تجعله فوق كل الخليقة.

الآلام والموت تمت طوعيًا

(ب) ولكنهم يقولون إن الكلام عن الآلام سوف يصيب الله الكلمة بعار التغيير ويهدم السر المجيد.

(أ) إنه لم يحتقر العار، بل اختار أن يتألم لأجلنا كما هو مكتوب، ولكن رفض

---

(١) Epiblema رداء وهي أحد المصطلحات الاساسية للنسطورية واستخدم هذا المصطلح لإنكار اتحاد الطبيعتين.

آلام الرب هو عُقم اليهودية وارتدادٌ للوثنية، فهؤلاء جميعًا يخجلون من آلام الصليب. ولكن القديس بولس يقول عنهم: "اليهود يطلبون آيةً واليونانيون حكمةً. ولكننا نكرز بالمسيح مصلوبًا، لليهود عثرةً ولليونانيين حماقةً. أمَّا للمختارين من اليهود واليونانيين فالمسيح هو قوة الله وحكمة الله. لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس" (١كورنثوس ١: ٢٢-٢٥).

اليهودية والوثنية ترفض الصليب لأنه ضعف أو جهالة

(ب) ماذا تعني لأني لم أفهم؟

(أ) ألم يقل الرسول إن الآلام على الصليب هي عثرةٌ لليهود وجهالةٌ عند اليونانيين؟ لأن اليهود عندما رأوه معلقًا على الصليب لوَّحوا بأيديهم الملطخة بالدم قائلين: "إن كنت أنت ابن الله فانزل من على الصليب لكي نرى ونؤمن" (متى ٢٧: ٤٠-٤٢). وقد افترض هؤلاء المجانين بالقوة أن الذي استسلم للصليب على هذا النحو لا يمكن أن يكون ابن الله، بل مجرد إنسان. أمَّا اليونانيون وهم غير قادرين على التطلع إلى عمق السر، اعتبروا غباوةً أن يكون المسيح قد مات عن حياة العالم. ولكن كل هذا الذي يبدو غباوة، هو أحكم من الناس. وما أعمق ما فعله المسيح مخلِّص الكل، فهو مملوءٌ بالحكمة العالية. وما يظنُّه الناس ضعفًا هو القوة التي تفوق قوة البشر، لأن الابن الوحيد الكلمة خلَّصنا وأخذ شبهنا **لكي إذا تألم في الجسد وقام من الموت يعيد طبيعتنا إلى الحياة ويجعلها أقوى من الموت والفساد**. وما حقَّقه كان قوةً وتجديدًا للخليقة. وهنا تظهر معاني الكلمات، فالابن الكلمة أقوى من البشر، لأن ما حلَّ بنا من ضعفٍ وفساد لم يكن من الممكن أن يعالجه إلَّا القوة التي عُمِلت بالصليب وبالقيامة، وبرهنت بذلك على أنها قوة الله.

تشبيهٌ لشرح آلام المسيح

(ب) كيف يصبح الواحد نفسه غير متألم ومتألمًا في نفس الوقت؟

(أ) عندما يتألم في جسده لم يؤثِّر الألم في أُلوهيته. هذا التدبير فائق ولا يستطيع عقلٌ أن يسبر عمقه ومجده. ولكن إذا تتبعنا الفهم الصحيح النابع من الإيمان الصحيح يمكننا أن ندرك التدبير على هذا النحو اللائق؛ نحن لا نفترض أنه غريبٌ عن الألم لئلا يؤدي هذا بنا إلى اعتبار أن ميلاده بالجسد كان يخص آخر، ولا ندَّعي أن ما يخص جسده أثرَّ على طبيعته الإلهية الفائقة. وإنما نؤمن أنه تألم في جسده دون أن يتألم في لاهوته. وكلُّ محاولةٍ لتشبيه الاتحاد بين اللاهوت والناسوت، مهما كانت، قاصرة وعاجزة عن أن تعلن الحق أو تشرحه، فإنها مع ذلك، تظل هذه التشبيهات قادرة على أن تبعث في العقل قدرةً على تصوُّر الحقيقة وإدراك دقتها التي تفوق التعبير بالكلمات. فقطعةٌ من الحديد أو أي معدن آخر إذا اتصلت بنارٍ مشتعلةٍ، تتَّحد بالنار، وإذا طُرِقَت، ترك الطَّرقُ آثارًا على المعدن، أمَّا طبيعة النار فهي تظل بعيدةً عن التأثر. وهكذا نعتقد بأن الابن تألم بالجسد، دون أن يتألم لاهوته. وما قدَّمناه من تشبيهٍ قاصرٍ عن شرح الاتحاد إلَّا أنه يصوِّر لنا الحقيقة، لأننا لا نرفض تصديق الاسفار المقدسة.

تطبيق التشبيه على الإفخارستيا

(ب) هذا جيد.

(أ) إذا لم يكن الجسد قد اتَّحد بالكلمة بشكلٍ لا يدركه العقل ويعلو على قواعد المنطق، فكيف يمكن أن نعتقد بأن هذا الجسد هو الجسد المحيي؟ لقد قال: "أنا هو خبز الحياة النازل من السماء والواهب الحياة للعالم. كلُّ مَن يأكل مِن هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله عن حياة العالم" (يوحنا ٦: ٣٣، ٤٨، ٥١). أمَّا إذا كان هذا الجسد هو جسدُ ابنٍ آخر غير الابن الوحيد، **أو أنه جسدٌ اتصل**

بالكلمة وصارت له علاقة غير جوهرية بالابن، ونُسِبَ للابن بسبب فضل أو نعمة مشاركته في الألقاب والكرامة، فكيف يدعوه الكلمة جسده، ولا يكون كاذبًا؟ وكيف يمكن لجسدٍ آخر غير جسد الكلمة الابن الوحيد أن يَهَب الحياة للعالم، ما لم يكن هو جسد الحياة، أي الكلمة الذي من الله الآب، والذي قال عنه القديس يوحنا "إن ابن الله جاء وأعطانا حياةً أبدية لكي نعرفه الابن الوحيد يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (١ يوحنا ٥: ٢٠).

فصل اللاهوت عن الناسوت يهدم الإفخارستيا

(ب) ولكنني افترض أنهم سوف يردون على هذا الكلام بقولهم إنه قال: "الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياةٌ فيكم" (يوحنا ٦: ٥٣). وهذا يعني أن الجسد المكرَّم والدم الثمين لا يخص الله الكلمة، بل ابن الإنسان الذي اتصل به الكلمة.

(أ) هكذا يحاولون القضاء على سر التقوى العظيم[١] (١ تيموثاوس ٣: ١٦) وما يحاولون تحطيمه هو إخلاء الله الكلمة لنفسه، لأنه كان في الصورة والمساواة مع الآب، ولأجلنا اختار صورة العبد وصار في شبه الناس واشترك في الدم واللحم لكي يصنع تدبير التجسُّد الذي شمل كل الذين تحت السماء. وبهذا التدبير خلَّصنا، لأن الآب جمع كلَّ شيءٍ فيه، ما في السماء وما على الأرض (أفسس ١: ١٠). فإذا قالوا إنه ليس الابن الوحيد الذي تجسَّد، فمن ذا الذي يمكنه أن يصرح بالأمور التي لا يقدر غير الله وحده على أن يعلِنها، لا سيما خلاص الإنسان مثل قوله: "الخبز الذي أنا أعطيه هو جسدي عن حياة العالم" (يوحنا ٦: ٥١)؟ وكيف نفترض أن آخر غير الكلمة أو ابن إنسان فقط، هو الذي يعطينا جسده المحيي وهو الذي خلَّصنا. هذا يتعارض مع

(١) في التقليد الشرقي هذه العبارة خاصة بالإفخارستيا كما هي خاصة بالتجسد، وهكذا يعبِّر القداس الباسيلي عن هذا التقليد في بداية الجزء الخاص بالعشاء الرباني: "ووضع لنا هذا السر العظيم الذي للتقوى لأنه فيما هو ..".

الكلمات الإلهية الصريحة: "أليس الرب نفسه هو الذي خلَّصنا؟" (اشعياء ٥٣: ٩). كما أن الافتراض بأن إنسانًا مثلنا هو الذي خلَّصنا هو أيضًا مستحيلٌ لأن المخلوقات الخاضعة للفساد تنال القيامة من الله وحده، فهو القادر على أن يَهَب الحياة. ولا يستطيع أن يُقيمها واحدٌ من الخاضعين للفساد، أي بشرٌ مثلنا، أخذ الحياةَ هبةً، أي أنه ليس في الحقيقة مالكها، ولذلك لا يقدر على أن يعطيها لغيره. لكن إذا كان الكلمة هو الذي أخذ جسدًا حسب شهادة الأسفار المقدسة، وظهر للذين على الأرض وتحدَّث مع البشر (باروخ ٣: ٣٨)، وجعل صورة العبد صورته، ففي هذه الحالة بالذات أصبح يُدعى ابن الإنسان أيضًا. ولم يكن مستطاعًا أن يصبح الجسد واهبًا للحياة لأنه بالطبيعة خاضعٌ لضرورة الفساد إلَّا إذا صار الجسد الذاتي للكلمة الذي يحيي كل شيء لأنه في هذه الحالة وحدها، يمنح الجسدُ ما فيه من حياةٍ ويصبح فعلًا واهبَ الحياة، ولا عجب في ذلك. لأنه إذا اتحدت النار بالمعدن جعلته ساخنًا مع أن المعدن بطبيعته بارد، لكن النار تجعل قوتها في المعدن وتهبه الحرارة اللازمة.

فكيف لا يجعل الله الكلمة الذي هو الحياة وواهب الحياة قوته وقدرته في جسده طالما أنه اتَّحد به بدون اختلاطٍ ولا تغيير، وجعله جسده الخاص بسرٍّ معروفٍ له هو وحده!

الاعتراف الأرثوذكسي بالإيمان

(ب) مما قلته يظهر أنه يجب الاعتراف بأن الجسد صار فعلًا جسد الكلمة الذي من الآب وأن فيه نفسًا عاقلة.

(أ) بكل يقين إذا قدَّمنا تعبيرًا عن الإيمان الصحيح لكل الذين يحبُّون العقيدة والحق، والذين يتبعون إيمان الآباء القديسين دون أن ينحرفوا عن الطريق السليم والملوكي، أو يتأثروا بالأقوال الجوفاء الصادرة عن عقول الضعفاء، بل يبنون على الأساس الوحيد، أي المسيح الذي لا يمكن أن يضع أيُّ إنسانٍ أساسًا آخر غير الذي وُضِع (١كورنثوس

٣: ١١). كما كتب البنَّاء الحكيم وكاهن أسراره بولس (١ كورنثوس ٣: ١٠).

"نؤمن بأن الابن الواحد ابن الله الآب، ونعتقد بأقنومٍ واحدٍ ربنا يسوع المسيح المولود من الله الآب قبل كل الدهور. مولودًا إلهيًا قبل كل الدهور لأنه الكلمة. وفي الأيام الأخيرة هو نفسه تجسَّد ووُلِدَ من امرأةٍ حسب الجسد. وإليه هو ننسب ما يخص اللاهوت والناسوت. وهو الذي وُلِد من العذراء حسب الجسد، وتألم على الصليب، وجعل ما يخصَّه يخصُّ جسده، لكن لاهوته لم يتألم. وهو الذي تنحني له كلُّ ركبةٍ ويعترفُ به كلُّ لسانٍ أنه يسوع المسيح الرب لمجد الله الآب. آمين.

+ + +